

الجزء الثاني

الكتابة التاريخية

الكتابة التاريخية

تعريف

التاريخ : تعريف الوقت ، والتاريخ مثله . أرخ السكتاب ليوم كذا :
وقته ، والواو فيه لغة . وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة ^(١) . وقد اختلف
العلماء في أصل هذا اللفظ ، فذهب به بعضهم إلى العربية الخالصة ، فقال : إن
التاريخ مأخوذ من لفظ الأرخ ، بمعنى ولد البقرة الصغير ، لأنه يشبه الشيء الحادث
كما يحدث الولد ، فهو حَدَثٌ جديد ^(٢) . وعزاه بعضهم الآخر إلى الفارسية ،
فقال : إن أصله «ماه روز» بمعنى «يوم الشهر» فمر بواها ، فقالوا «مؤرخ» وجعلوا
المصدر منها «التاريخ» ^(٣) . وهو اشتقاق بعيد ، لا يظهر فيه تقارب بين اللفظين
العربي والفارسي .

ويتصل هذا القول - دون شك - بالخبر القائل بأن المسلمين تأثروا بالفرس
في أخذهم تاريخ الهجرة تقويمًا لهم ، إذ أشار الهرمزان الفارسي على عمر بن
الخطاب بذلك ^(٤) . ولسكننا نرجح الرأي القائل بعربية الكلمة ، وإن كنا
لا نشاركهم في أنها مأخوذة من الأرخ ، وإنما هي كلمة عربية قديمة مشتركة
في اللغات السامية ، تلوح القرابة بينها وبين كلمتي «يَرَح» التي معناها
«القمر» و «الشهر» في العبرية ^(٥) . ومن المعروف أن الساميين كانوا

(١) لسان العرب ، مادة «أرخ» . (٢) المصدر السابق .

(٣) البيروني : الآثار الباقية ٢٩ ، والخوارزمي : مفاتيح العلوم ٧٩ .

(٤) نفس المرجعين . (٥) جب : دأثر المعارف الإسلامية مادة «تاريخ» .

تحددون شهرهم بالقمر لا بالشمس ، ولذلك كانوا يبنون تاريخهم على الليالى دون الأيام ، كما هو الحال فى التقويم الهجرى الآن . وعلى هذا رأى نرى أن معنى كلمة « التاريخ » فى مبدأ أمرها كان « تحديد الشهر » ، ثم اتسع فصار التوقيت العام أى تحديد عهد أى حادث من الحوادث . ولا زالت اللغة فى تطورها حتى شمل هذا اللفظ رواية الحادث نفسه من جهة ، وتحديدته من جهة أخرى ، وكانت هذه الخطوة الأخيرة فى سبيل بزوغ كلمة التاريخ بالمعنى الاصطلاحي المعروف .

وأطلق لفظ التاريخ فى عهده الأخير على عدة معانٍ متقاربة . فهو بمعنى التاريخ العام ، أى تسجيل أهم الحوادث كما يظهر فى تاريخ الطبرى قبل الإسلام والكتب الأخرى ؛ وهو بمعنى الحوليات ، أى تدوين الحوادث عاما فعاما مثل تاريخ الطبرى بعد الإسلام وتاريخ ابن الأثير وغيرهما ؛ وهو بمعنى تدوين الأخبار مرتبة بحسب العصور ، مثل سيرة معاوية وبنى أمية لعوانة ابن الحكم ؛ وهو بمعنى التراجم ، كما نرى فى كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » لابن القفطى ومجمع ابن خلسكان وغيرهما . وأطلق أيضا على مصنفات تختلف عن المصنفات التاريخية اختلافا كبيرا ، مثل « تاريخ الهند » للبيرونى ، إذ هو أقرب إلى مصنفات البحوث العقلية منه إلى المصنفات التاريخية . ويعنى إلى جانب كل هذه المعانى ، المعنى اللاغوى الأول ، أعنى تحديد بداية الأخبار الخاصة بعصر من العصور ، أو حساب الأزمان وحصصها ، أو تحديد زمن وقوع الحوادث تحديدا دقيقا .

الفصل الأول

ظهور الكتابة التاريخية

العصر الجاهلي

تكلّمنا - قبل - عن العصر الجاهلي ، وما عرف فيه من كتابة . ولكننا إذا أجهدنا أنفسنا باحثين عن أى نوع من الكتابة التاريخية ، لم نكد نظفر بشيء ، حتى البلدان المتحضرة التي كنا نظن أنها تحرص على تسجيل حياتها ورقياً ، مثل اليمن والحيرة وغانم ، لم يصل إلينا منها كتب تاريخية أيضاً ، وكان تاريخها اسماً منسياً لدى العرب ، سكانها أو غير سكانها ، ولذلك دخلت عليهم الأباطيل والخرافات عند ما أرادوا الكتابة عنها بعد ظهور الإسلام ، وحلق بهم الخيال في الأجواء ، حتى ما نستطيع أن نركن إلى حقيقة مما يقولون ، على الرغم من النقوش الموجودة حتى اليوم على الآثار الباقية في اليمن وشمال بلاد الحجاز وجنوبي الشام ، مما يدل على جهل المؤرخين العرب بالخط الحيري والخطوط الأخرى في بلاد العرب القديمة . والشيء الوحيد الذي نسمع عنه هو تلك المدونات التاريخية المودعة في أديار الحيرة وكنائسها والتي اطلع عليها السكبي فيما بعد ، وإن كنا لا نعرف عنها شيئاً فيما عدا ذلك ^(١) .

ولا يمكننا الركون كثيراً إلى الوثائق التي تروى في كتب التاريخ الإسلامية

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٣٧ .

عن هذا العصر ، وإنما تقابلها بالشك الشديد ، الذي تثيره فينا ظروف هذه الوثائق ومثالها الواضح تلك الوثيقة التي يذكرها أبو حنيفة الدينوري في تاريخه أن عمر ابن إبراهيم من ولد أبرهة بن الصباح آخر ملوك اليمن أرسلها إلى السكرماني حسب طلب الأخير^(١) . وكانت هذه الوثيقة عبارة عن حلف عقد بين ربيعة واليمن أمام تبع بن ملكيكرب . وعبارة الوثيقة مسجوعة ، وفيها عدة إشارات إلى ضروب النسك الوثني ، وإن كانت تبدأ بعبارة إسلامية تقول : « بسم الله العلي الأعظم ، الماحد المنعم » ، وتنتهي بذكر الله وشهادته على الحلف كما كان يفعل المسلمون ، إذ تقول : « وشهد الله الأجل ، الذي ما شاء فعل » . ولا شك أن المرء حين يقع نظره على الرسالة يغمره الشك ، فيها من جميع الأنحاء .

الذي باسم

ولسكن العرب — على الرغم من كل ذلك — عرفت نوعاً من التاريخ الشفهي ، فقد كانت القبائل تروي أيامها : حروبها وانتصاراتها ، لتفخر بها على القبائل الأخرى ، سواء كانت ذلك شعراً خالصاً أو نثراً تتخلله الأسماء . ولم تكن الصلة واحدة دوماً بين الشعر والنثر في الأخبار ، فأحياناً يكون النثر مرفوعاً للقصيدة ، وأحياناً يكون الشعر مرتجلاً على لسان أحد أبطال الخبر دون أن تربطه صلة بالخبر المنشور . وكان الشعر في كلتا الحالتين هو الذي يحافظ على تناقل الخبر وانتشاره فلما نُسيت هذه الأسماء نُسيت الروايات القديمة ، وابتسكت أسماء جديدة للتمويه بماثر القبيلة من أفعال مجيدة . وعلى الرغم من كل ذلك فإننا

(٣) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري : الأخبار الطوال ٣٥٣ .

نستطيع أن نطمئن إليها بعض الاطمئنان ، إذ لا بد أنها تقوم على أساس واقعي ، وإن اصطفت بالتحيز والمغالاة .

الرُساب

وكانت كل قبيلة تحفظ نسبها ، وتحفظه أبناءها ، لتظل نقيّة بعيدة عن الشوائب ولتستطيع أن تفخر به على القبائل الأخرى . وسيكون لهذا الفرع من التاريخ مكانته بعد الإسلام .

وهكذا وجدت هذه القصص التاريخية المصبوغة بالخرافات والأساطير لدى القبائل ، وكانت كل قبيلة تعنى بما تعتبره تاريخها ، وترويه لأجيالها القادمة . ولـكن عرب الشمال لم يصلوا بعد إلى تاريخ عام لهم ، يشمل كل قبائلهم ، إذ لم يكونوا قد أدركوا معنى الوطن ، ولم تكن وحدتهم الظروف في أمة واحدة .

تاريخ الأمم المجاورة

وعرف العرب تاريخ من جاورهم من الأمم ، مثل الفُرس والرومان ، حتى ليقال إن النّضر بن الحارث كان ينافس الرسول ، ويدلّ عليه بمعارفه عن الفرس . ولـكن ذلك التاريخ كان قصصا وخرافات ، لا تختلف عما عند عرب الجنوب والشمال في أغلب الظن .

ظهور الإسلام

لما جاء الإسلام انتشرت في المملكة الإسلامية في هذا العهد حركة تاريخية أخذت تتسع وتنظم شيئاً فشيئاً ، حتى خلفت لنا ثروة أدبية من أغنى ثروات الأدب العربي ، وكانت أهم العوامل التي بعثت تلك الحركة هي :

(١) احتاج المسلمون في تفسير الآيات القرآنية إلى معرفة مناسباتها ، أعني سبب نزولها ، والموضع الذي نزلت فيه ، والحادثة التي تشير إليها ، وما إلى ذلك مما يسمى ما حول النص . ومن الواضح أن معرفة هذه الأشياء تحتاج إلى بحث تاريخي في حوادث الإسلام ، وهكذا كانت التفسير من العوامل التي دعت إلى الكتابة التاريخية .

وقد أكثر القرآن أيضاً من الإشارات إلى الأمم والقبائل والأنبياء في قصصه عن الغابرين فرغب علماء المسلمين في فهم هذه الإشارات وتوضيحها . وكان الإسلام قد أظل كثيراً من اليهود والنصارى ، فاجأ إليهم المسلمون ليعرفوهم بتلك الإشارات ، فأخذ هؤلاء يحدثونهم بقصص التوراة والإنجيل وشروحيهما ، فربطها المسلمون بالتفسير والتاريخ ، واشتهرت هذه الأخبار في العلمين باسم « لإسرائيليات » . ويتمثل لنا ذلك في كتب الأخبار (المتوفى عام ٣٤ هـ) ووهب بن منبه (المتوفى عام ١١٠ هـ) . ولا تزال آثارها في كتب التاريخ والتفسير التي وصلت إلينا .

(٢) كان الحديث أيضاً من عوامل ظهور الكتابة التاريخية ، إذ عني المسلمون بجمع الأحاديث ليفسروا بها القرآن ، ويستنبطوا منها أحكام الدين . وكان من هذه الأحاديث جملة وافرة تتعلق بحياة النبي والصحابة ، فجمعت فيما جمع ، وكانت أساس كتب السيرة والمغازي فيما بعد .

(٣) شعر بعض الخلفاء أنهم محتاجون إلى نبراس يهتدون بهديه في سلوكهم ، إذ لم يكن لهم تراث عربي يقتدون به ، كما أنهم رأوا ممالك أجنبية بهرهم حضارتها ، فأحبوا أن يعرفوا كيفية سياستها ونظامها . فقد كثرت المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، حتى هدمت نظام الخلافة ، وأقامت نظام الملك وواجه العقل العربي ، الذي كان ساذجاً في جاهليته ، مشكلات حقيقية ، منها

ما يمس الدين والحضارة ، ومنها ما يمس الحياة المادية والاجتماعية ، فرأى الآبد من الاستعانة بأخبار من سبقه من العقول ليستشير بها . روى المسعودي^(١) عن معاوية أنه كان بعد أن يفرغ من عمله « يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها ، والمعجم وملوكها ، وسياستها لرعيتهما ، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة... ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها ، والحروب والمساكيد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها . فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات » .

(٤) كان الأجانب الذين أظلمهم الإسلام يفخرون على العرب بتاريخهم وحضارتهم ، ويروون لهم أفعالهم الجيدة في ماضيهم ، فاضطر العرب إلى ابتكار تاريخ لهم يستطيعون به الوقوف بإزاء هذا الفخر الأجنبي ، ويظهرون لأبنائهم وغيرهم من الأمم أنهم ، وإن كانوا حديثي عهد بالحضارة ، ليسوا أقل من الأمم الأخرى مجدداً ومكانة . وكان هذا من دواعي ظهور الكتابة التاريخية في الأمة اليونانية أيضاً .

(٥) كان نظام الحكومة الإسلامية ، وخاصة النظام المالي ، من العوامل التي أدت إلى قيام الحركة التاريخية وانتشارها ، لأن الضرائب على البلدان المختلفة تدبأين حسب فتوحها صالحاً ، أو عبثاً ، وكانت المعاملة السياسية والاجتماعية نفسها تختلف في بعض البلدان تبعاً لما حدث في أثناء فتحها ، فدعا كل ذلك ، والنظام المالي خاصة ، إلى بحث تاريخ الفتوح ، والاهتمام بهذا الفرع من التاريخ . ودعا النظام المالي إلى نشوء فرع آخر من التاريخ ، وذلك لأن نظام العطاء

تغير منذ عهد عمر ، فصار بحسب الأسبقية إلى الإسلام ، أى أن الذين أسلموا في أول الدعوة يأخذون من العطاء أكثر مما يأخذ من أسلم بعدهم ، ومن أسلم وهاجر يأخذ أكثر من المسلم بعد الهجرة ، ومن أسلم وشهد بدماء يأخذ أكثر ممن لم يشهدا من الذين أسلموا بعدها ، وهلم جرا . وكان هذا النظام سبباً في البحث الدقيق في الدعوة الإسلامية وانتشارها . كما كان العطاء مرتباً أيضاً بحسب الأنساب ، أى يبدأ بقراة النبي صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب ، ثم قراة أبي بكر ، ثم عمر . . . وهكذا في الأنصار ، وفي جميع المسلمين . ومن الواضح أن هذا النظام يدعو إلى البحث في الأنساب ، وظهور هذا النوع من التاريخ ، وظهور كتب الطبقات أيضاً .

(٦) ابتداء حركة التأليف في العلوم الأخرى المعروفة بين العرب في ذلك الوقت ، حتى إننا نجد صُحَّاراً العبدى يؤلف كتاباً في الأمثال . ثم يتطور الأمر بمرور الزمن فتترجم بعض كتب السكيمياء في عهد خالد بن يزيد بن معاوية ، ويأمر عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث ، وترجمة كتاب في الطب ، ويقول بعض الرواة إن عروة بن الزبير أحرق بعض كتب ألفها في الفقه في يوم الحرة^(١) . كل هذه الحركة التأليفية تدل على أن العقل العربي كان يعاني تحولا خطيراً ، وأنه أخذ في التمدن السريع ، والمشاركة في التدوين والتأليف .

(٧) وآخر الأمر لا ننسى استمرار ما كان في الجاهلية من عناية بالأنساب والأيام ، ازدادت في العهد الإسلامي ، لأنها تغذى الشعراء في ميدان الفخر والهجاء والنقائض التي شاعت في هذا العصر ، وكان لها المقام الأول في شعر الفحول . واتخذ هذا النوع من التاريخ لوناً جديداً أيضاً ، هو العناية بغزوات الرسول . فما كان ذلك النوع من التاريخ إلا استمراراً لما عهد عند الجاهليين ، إلا أن الإسلاميين قيدوا ، والجاهليين حفظوا ورووا .

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ١٣٣ .

الباب الثالث

المؤرخون وكتبهم

الكتاب الأول

اجتمعت العوامل السابقة فأشعلت الروح التاريخية في المسلمين ، فأخذوا ينظرون في هذا الفن ، باحثين منقبين ، وشرعوا يروون الأخبار التي يستطيعون الوصول إليها . ولكننا لا نلبث أن نرى هذه الأخبار الشفوية تدون في عهد معاوية ، في رسائل صغيرة تسمى كتباً . وكان هذا تحولا خطيراً ، يبشر بما سيمتلوه من تقدم ورق في الدراسة التاريخية . ولا ندرى بالتحقيق ما أول كتاب ظهر في التاريخ عند العرب . ولكن يتنازع الأسبقية زياد ابن أبيه (المتوفى عام ٥٣ هـ) ودغفل النسابة البكري (المتوفى عام ٦٠ هـ) وعبد الله بن عباس (المتوفى عام ٦٨ هـ) وعبيد ابن شربة الجرهمي (المتوفى عام ٧٠ هـ تقريباً) .

زياد ابن أبيه

أما زياد ابن أبيه فقد ألف كتاباً في مثالب العرب^(١) . ولا يدهشنا ذلك كثيراً ، إذ نعرف قصة نسب زياد ، واستلحاق معاوية إياه ، وكراهية المسلمين لذلك ، بل سخريّة بعض الشعراء من هذا الاستلحاق . ولذلك أراد أن يزوّد

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

نفسه وأبفائه بسلاح يخيف به المتعرضين له ، ويشعره بعدم نقصه ، بل بنقص الآخرين في هذه الناحية . ولذلك أرجح أنه كتاب في الأنساب خاصة ، وأنه ألّفه بعد استلحاق معاوية إياه ، وتعبير الناس له . ويؤسفنا أن هذا الكتاب فقد ، ولم يبق لنا منه شيء ، وإن كنا نرجح أن كتب الأنساب والشعر يبين المتأخرين أخذت عنه .

دغفل النسابة

أما كتاب دغفل النسابة فجالس وأسمار ، في بلاط الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي كان محبا للمسامرة وأحاديث من مضى . ويسمى هذا الكتاب « التظافر والتناصر » . ويروى كتاب « التحفة البهية والطرفة الشمية ^(١) » المجلس الثامن عشر منه ، فيقول : « ذكر في كتاب التظافر والتناصر ، وهو مجالس دغفل النسابة البكري عند معاوية ، وأنه سأله في الثامن عشر من مجالسه ، فقال : « من أبلغ العرب في ثنائه ؟ » فقال دغفل : « ذاك النابغة الذبياني حين دخل على الحارث ابن أبي شمر الغساني ، يطلب إليه في أسارى قومه ، فقال : « ألا انعم صبا حاياها الملك المبارك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، وولدى فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والمجسم حماؤك ، والحكماء وزراؤك ، والعلماء جلساؤك ، والمقاول إخوانك ، والعقل شعارك ، والحلم دئارك ، والسكينة مهداك ، والوقار غشاؤك ، والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحياء بطانتك ، والعلاء غايتك ، وأكرم الأحياء أحياءك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلائلك ... » .

ونحن إذا صدقنا هذا القول ولم نذهب مع ابن النديم الذى ينص على أنه لم يصنف شيئاً^(١) ، لا نستطيع أن نأخذ هذا المجلس حقيقة لا شك فيها . فإننا نرى الكلام ملازماً للسجع ، وفيه أشياء منافية لذلك العصر ، ولم نقد العثور عليها فيه . كما نرى فيه نزعة إسلامية تسير مع قول القائلين بالتبشير بمحمد قبل ظهوره . ونحن إذا لم نشك فى هذا التمكن ، فإننا نشك فى تكون المناخبة بإسلام الحارث . وإنه لم يسلم فعلاً ، وما أظن أنه كان بعد الإسلام فخراً له ، فى عصره ذلك . ولكن هذا المجلس على كل حال ، يبين لنا أن كتاب « التظافر والتناصر » ، إن كان وجد على الإطلاق ، كان يعالج التاريخ الأدبى ، ويبين مقدار عنايتهم بالسر ، وأثر هذا السر فى تجويد العبارة وتحسينها .

ابن عباس

أما ابن عباس فقد نسب إليه بعض الرواة^(٢) مدونات استقى منها من بعده من المؤرخين . ولا يذكرون أن ابن عباس جعل من هذه المدونات كتاباً خاصاً أعطاه اسماً معيناً . وهى فى غالب الظن بعض مجالسه التى كان يفسر فيها القرآن ، ويتعرض لمختلف المعارف العربية ، دونها أحد تلاميذه أو أبنائه . ونحن لا نستطيع أن نتكلم عنها أكثر من ذلك ، لأن ابن عباس من الذين حُمِلَ عليهم كثير من الأخبار فى كل فن .

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٢١٦ .

عبيد بن شريفة

أنتجت لنا مجالس معاوية الكتاب الرابع أيضاً ، إذ أشار عمرو بن العاص على معاوية باستدعاء عبيد ، وسؤاله عن الأخبار المتقدمة ، لما رآه فيه من حب المسامرة والأخبار السالفة . فأحضره واتخذ سميراً له ، وأمر كتابه بتدوين أحاديثه ونسبها إليه . فدونت تحت عنوان « كتاب الملوك وأخبار الماضين » ، كما يقول صاحب الفهرست ^(١) . وقد طبع الجزء الذي وجد من الكتاب في حيدرآباد باسم « أخبار عبيد بن شريفة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » . ولا يزعمنا هذا الاختلاف كثيراً ، لأن عبيداً نفسه لم يدونه ، ولا عنوانه كتاب معاوية ، بل نسبوه إليه دون عفوته ، كما يبدو . ومن ثم اختلف النساخ المختلفون في عنوانه . ولا يبعد أن يكون لهذا الاختلاف أسباب أخرى غابت عنا . ويؤكد لنا العنوان نفسه أنه من وضع أناس غير عبيد ، إذ تقول النسخة المطبوعة : « أخبار عبيد بن شريفة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال ، والحمد لله على كل حال » . فتصرّحه باسم عبيد ، وقوله « على الوفاء والكمال » ، يشيران بأن هذه العبارة كلها من كتابة شخص آخر غير المؤلف .

وحين نقلب صفحة العنوان نرى الكتاب يبدأ بالبسملة والحمد ، ثم سند روايته : « حدثنا عبيد بن شريفة الجرهمي ، عن البرقي يرفع الحديث أن معاوية... » . وإذن فالكتاب من رواية البرقي ، وهو تلميذ لابن هشام . وإذن فالمستركونكو J. Krenkow له دعامة التي يتكى عليها ، حين يستنتج من ذلك أن جامع الكتاب

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

هو ابن هشام ، وأن القائل «عن البرقي» أحدث تلامذته . ولأننا نستبعد ذلك ، ولكن نحب أن نتصفح الكتاب قبل الإدلاء برأينا .

يقدم الكاتب بين يدي الكتاب مقدمة ، يشرح فيها ولاية معاوية وخلافته وحبه للسمر ، وإشارة عمرو باستدعاء عبيد ، وكبر سنه ، وعلمه ، وسمره ، وسيطرته على قلب معاوية ، وأمر الأخير بتدوين أقواله .

ويتناول عبيد في هذا الكتاب تاريخ موطنه اليمن ، بادئا باجتماع البشر في بابل ، ثم تفرقهم شيعا ، وخروج بعض بني سام إلى اليمن . ثم يأخذ في سرد تاريخ هؤلاء اليمنيين ، معتنيا بمن أرسل إليهم من أنبياء ، وإن كان همه كله موجه الملوكةم وغزواتهم في بطون الأرض .

ويتهى الجزء الذى وصل إلينا بمقتل طسم وما قيل فيها من شعر . ويصرح الناسخ بأن الكتاب قد تم ، ولكنه يعنى أنه كتب النسخة التى أمامه كلها فحسب ، إذ الكتاب لم يتم ، ولم تكمل أخبار عبيد ، ولم تكمل أخبار طسم نفسها . ولعل مما يؤيدنا فى ذلك ، أننا كنا ننتظر من كتبة معاوية إشارة إلى ما حدث لعبيد فى نهاية مجالس سمره .

وأول ما يلاحظ على الكتاب أنه ليس كتابا تاريخيا بالمعنى المصطلح عليه ، وإنما هو مجالس سمر تاريخية مدونة . ولذلك يغلب عليه ما يغلب على تلك المجالس من خصائص . فنرى الأسلوب الحوارى يشيع فيه ^(١) :

«قال معاوية : وما كان اللسان يومئذ ؟

قال عبيد : سريانى أوله وآخره ، وهو لسان آدَم عليه السلام ونوح وإدريس .

قال معاوية : كيف اختصت أرض بابل باجتماع الناس فيها ؟

قال عبيد : هي سرّة الأرض في فضلها ، وأراد الله ذلك بها .
ولسكن الأمراجميل الذي نحسبه معاوية أو لسكرابه ، أنه كان لا يتدخل
بالأسئلة في بعض الفصول ، ولذلك نراها تجري دون أية مقاطعة ، أو بمقاطعة لا تكاد
تذكر . ومما يتصل بهذا ويحسب للسكراب ، أنه لم يفصل بين المجالس المختلفة ،
فأكتسب السكراب ميزة حسنة ، وهي الاتساق وعدم التقطع ، كما نرى في مجالس
قصص ألف ليلة وليلة مثلا . ولسكننا خسرنا ميزة أخرى ، هي عدم معرفتنا القدر
الذي كان يقصه عبيد على معاوية ، والمدة التي قضّاها الاثنان في سمرهما . ومما يتصل
بهذا أيضا ، أننا لا نرى أحدا من جلساء معاوية يظهر في السكراب ، سائلا أو مجيبا
إلا سرتين في صدر السكراب ^(١) .

ونحن نذكر - ولا شك - تلك المجالس الأدبية التي كانت تعقد في بلاط
الأمويين ، وخاصة بلاط معاوية وعبد الملك ، وكانت من الأسباب التي طورت الأدب
والنقد الأدبي . ونذكر أيضا عناية هذه المجالس بالشعر ؛ إذا كنا نذكر ذلك ،
فإننا لن ندّش حين نرى عبيدا يُعنى عناية شديدة بالشعر . ونرى معاوية - على
الرغم من هذه العناية الشديدة - يلمس منه الأشعار ، فيقول ^(٢) : « وسألتك
ألا تمر بشعر تحفظه فيما قاله أحد إلا ذكرته » ، ويقول ^(٣) : « فحدثني عن لقمان
ابن عاد صاحب النور ... وما قيل في ذلك من الشعر » ، ويقول بعد أن يسرد
عبيد بعض الأخبار ^(٤) : « فهل قيل في ذلك شعر ؟ » . وكان معاوية يطلب منه
الشعر للمسامرة ، ولسبب آخر غيرها ، إذ كان يعتبر الشعر الدليل على صدق الخبر ،
يقول ^(٥) : « وأبيك ، لقد أتيت وذكرت عجبا من حديثك عن عاد ، وقد علمت

٣٥٦ (٣)

٣١٤ (٢) ٣١٣ ، ٣١٤

٣٥٢ (٥)

٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٢٣ ، وغيرها

أن الشعر ديوان العرب ، والدليل على أحاديثها وأفعالها ، والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن من الشعر لحكماً » . ويقول ^(١) : « سألتك ألا شددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ، ولو ثلاثة أبيات » . وكثيراً ما كان يقول لعبيد بعد أن يذكر ما طلب من الشعر ^(٢) : « لقد جئت بالبرهان في حديثك » .

والشعر الذي جاء به عبید يمكن تقسيمه إلى أقسام ثلاثة : قسم ضعيف مسخيف ركيك ، ليس من الشعر الحق في شيء ، وهو موضوع على من نسب إليهم ، وهو الغالب على الكتاب . ومن أمثله ما ينسب لطسم بن لاوذ بن إرم ، حين انتقل من بابل إلى بلاد العرب ^(٣) :

إني أنا طسم شبيه سام ووالدي لاوذ بن رام
لما رأيت من بني أغمامي وإخوتي الرحيل باعتزام
قد اقتدوا ببعرب الهام كرهت بعد إخوتي مقامي

وقسم آخر أجود من السابق ، ولكنه من الموضوعات أيضاً ، ومن أمثله ما ينسب لتبع ^(٤) :

سبذ كر قومي بعد موتي وقائمي وما فعلت قومي بقيس أفاعلا
فكم من ملوك قد قتلنا رجلاهم وكم من نساء قد تركنا ثواكلا
وكم من أسير ظل في القييد ساقه يبيت يراعي غله والسلا سلا
سبذ كر قومي نجدتي ومكاري ويدخل باب العز من كان جاهلا

(١) ٣١٨ . (٢) ٣٣٠ ، ٣٤٩ ، ٤٠٠ ، وغيرها . (٣) ٣١٩ .

(٤) ٤٤٠ .

بنيت لهم مجدا مع النجم سمسكه وصيرته للعالمين معاقل
أما القسم الثالث فأشعار تنسب إلى شعراء معروفين ، مثل العباس بن مرداس ،
وأعشى بنى وائل ، وحسان بن ثابت ، وأممية بن أبي الصلت ، وامرئ القيس ،
وعبيد بن الأبرص . والناطقة الذبياني ^(١) . وقد وجدت أكثر هذه الأشعار في
دواوين أصحابها ، وإن كانت قد تختلف في بعض الألفاظ أو العبارات .
وهناك ظاهرة جديدة بالتسجيل في عداد حسنات عبيد ، إذ نراه يُعنى في
بعض الأحيان بإيراد جملة من الأشعار بعد سرده الأخبار التي يعالجها ، كما فعل
بعد تناوله أخبار عاد وثمود . وكان عبيد يشعر بأن هذا هو المنهج الأكمل .
قال له معاوية ذات مرة ^(٢) : « أقبل في ذلك شعر ؟ » في أثناء كلامه ، فقال : « نعم
يامعاوية ، قد قالت العرب في ذلك أشعارا ، فإن أحببت أنشدتكها ، وإن شئت
في آخر الحديث ، فإنه أصلح الحديثك » . فقال معاوية : « سمعني في آخر الحديث
فهو أحسن » .

ومن أجل السمر أيضا عنى عبيد ببعض القطع النثرية وجودها وهذبا ، حتى
لتلفت النظر من بين باقي الأخبار . وصارت شبيهة بما يسمى في الأدب الغربي
«القطع الأرجوانية» ، يعنون بذلك الفقرات التي تلقى العناية التامة ، على حين يهمل
ما حولها من كلام . وتظهر هذه الفقرات أوضح ظهورها في بعض الأحاديث ، التي
ينسبها عبيد لأبطال تاريخه ، وفي بعض أوصافه للأجناس . فها هي ذى جارية
من عاد تقول حين رأت ريح العقوبة ^(٣) : « الويل لعاد ، التي طغت في البلاد ،
فأكثرها فيها الفساد . أرى رياحا كأمثال الجبال ، لها لجثم بأيدي رجال ، كأن

(٢) ٣٣٥ .

(١) ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٩٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٤٠٥ .

(٣) ٣٣٧ .

في وجوههم شهب النار». وهذان رجل وامرأته يتخاضعان أمام عمليق في ابنيهما ،
 فتنول^(١) : «إني امرأة حملته تسما ، وأرضعته سبما ، ولم أر منه نفما ، حتى إذا
 تمت أوصاله ، واستوى وصاله ، أراد أن يأخذه كرها ، ويتركني ورها . فيقول
 زوجها : «أخذت المهر كاملا ، ولم أصب منها طائلا ، إلا وليدا جاهلا ، فافعل
 ما كنت فاعلا» .

والكتاب في هذه الفقرات لا يعرف من التجويد والزخرف غير السجع ،
 بل إنه لسجع ضعيف غير جميل في الغالب . ولا أدري أذلك من التحريف الذي
 أصاب الكتاب أم من الكتاب نفسه . أما الأسلوب الغالب على الكتاب
 فبسيط عادي صريح ، عاطل عن كل الحلى .

وظهرت في الكتاب خاصة أخرى تظهر في المسامرات ، تلك هي الاستطراد .
 فكثيرا ما يذكر عبید عرضا في أثناء حديثه بعض الأشياء أو الأشخاص ، فيسأله
 معاوية عنهم ، فيضطر إلى الخروج إليهم ، ثم يرجع إلى السياق الأصلي . وكان
 معاوية يشير عليه أحيانا بالرجوع إلى السياق قائلا : «خذ في حديثك^(٢)» أو «خذ
 في حديثك الأول^(٣)» أو «دع هذا وخذ في حديثك الأول^(٤)» . وكان معاوية
 يستعمل أحيانا بعض الحوادث ، فيشير عليه عبید بالتمهل^(٥) .

وكانت مجالس معاوية هذه استمرارا لمجالس السمر الجاهلية ، ولذلك نرى
 موضوعات عبید تغلب عليها الصيغة التي كانت تغلب على تلك المجالس . فغلب
 على أخباره الخيال البدائي المبالغ ، بل المفرق في المبالغة ، وخرجت أخباره قصصا
 وخرافات وأساطير ، عن ملوك اليمن ، لا تختلف في شيء عما كان في الجاهلية ،

(١) ٤٨٣ . (٢) ٣٣٧ ، ٣٦٥ ، ٤٠٠ ، وغيرها . (٣) ٤٠٨ .

(٤) ٤٥١ . (٥) ٤١٣ .

في غالب الظن . بل يمكننا أن نعتبر كتابه تدويناً للقصص التاريخية التي كانت شائعة في الجاهلية ، وخاصة في جنوب بلاد العرب . وهي قصص تاريخية ، لا أخبار تاريخية ، فلا نستطيع أن نخرج منها بأخبار تاريخية علمية ، وإنما نظفر بأدب شعبي خيالي . ومما يكمل صورتها ، ويقرب بينها وبين الجاهلية ، تلك الأنساب التي تشيع فيها ، حتى قلما يظهر شخص ، دون أن تورد سلسلة نسبه ، حقاً كانت أو باطلة . وإذن نحن لا نبعد كثيراً عن الصواب ، إذا عددنا كتاب عبيد مدونة تحوى الأخبار التاريخية ، معالجة كما كان يعالجها الجاهليون ، ولا يختلف عنهم إلا في اعتمادها على القرآن في قصص الأنبياء والشعوب التي تعرض لها القرآن . ولعل عبيدا كان يضيق بالأخبار التي تناولها القرآن ، لأنه لا يستطيع أن يتصرف فيها ، أو يترك خياله الحرة في تناولها ، أو يرويها كما وصلتته عن الجاهليين ، حتى ليقول لماوية حين سأله عن بلقيس والمدهد^(١) : « قول الله أصدق ، وقد أعلمتك لست بمُحدِّث بشيء ليس في القرآن ، ولست بوصف خبرا بلغني بعد ما قال الله تبارك وتعالى » . واعتمد عبيد في القصص القرآنية على ابن عباس كثيراً ، فكان يقول لماوية : « سمعت ابن عمك^(٢) » ، قاصداً عبد الله ، وكان يصرح باسمه أحياناً^(٣) .

وكتاب عبيد ذو أهمية كبيرة ، لا في تطور حركة التأليف التاريخي فحسب ، وإنما لأنه يكشف لنا النقاب عن الثقافات التي كان يعرفها العرب في الصدر الأول من الإسلام ، وربما التي كان يعرفها العرب في الجاهلية ، وخاصة في اليمن ، وأوضح ما يجده الثقافة الإسرائيلية التي تظهر بارزة في الكتاب كله . يظهر هذا في الأخبار

(١) ٤٢٤ . (٢) ٣٢٧ .

(٣) ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٦٥ ، ٤١٥ ، وغيرها .

والأشخاص والأنساب والأسماء وغيرها ، بل نراه أحياناً يذكّر اسم أحد الأشخاص ، ثم يورد اسمه في العبرية ، فأبو إبراهيم آزر واسمه تارخ^(١) ، وعابر هو هود^(٢) . هذا هو كتاب « أخبار عبيد بن شريعة » ، ملحمة من أجمل الملاحم العربية الشعرية التي تتناول تاريخ العرب الجنوبيين ، يلعب فيها الخيال دوراً كبيراً ، ويحاكيها الشعر والقطع الشعرية الأرجوانية ، والقصص الإسرائيلية المأخوذة من التوراة وأخبار الإسرائيليين ؛ ملحمة تشبه الملاحم التي ستظهر في العصور الإسلامية المتأخرة ، من أمثال ملاحم عنيزة والظاهر بيبرس والأميرة ذات الهمة ، ولكنها تمتاز عنها بسمو أسلوبها ، وفصاحتها العربية . ولعلنا لا نشط كثيراً حين نقارنها بشاهنامة الفردوسي الشعرية ، التي تتناول تاريخ الفرس منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي . ويؤسفنا كل الأسف ضياع الجزء الأخير منها .

وفي ختام الكلام عن أخبار عبيد نذكر أمراً كبير الأهمية ، ذلك هو دخول بعض العناصر العربية فيه . فهذا خبر يصدر بالإسناد التالي^(٣) : « وذكر بعض أصحاب السير عن عبيد بن شريعة بأمر هود^(٤) » ، قال أخبرني البخترى عن محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر ابن وائلة الكنانى عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وليس هذا بإسناد الكتاب ، والخبر ليس منه ، حتى ليقال بعده : « رجع الحديث إلى عبيد ابن شريعة ومعاوية » . ويعلق الناشر على هذا الخبر قائلاً : « لعل هذه العبارة كانت حاشية ، فأدمجها بعض النساخ في الأصل ، ومع ذلك فهذا عبيد بن شريعة ليس له دخل في هذه القصة » . ولكنه ليس خبراً واحداً ، وإنما هي أخبار كثيرة من رواية محمد بن إسحاق وغيره ، مثل وهب بن منبه^(٥) . ونحن لا نرى أن هذه

(١) ٣١٥ . (٢) ٣١٣ ، ٣١٥ .

(٣) ٣٥٠ . (٤) ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ .

الأخبار حواش ، وأدخلها النساخ في الكتاب ، فإننا لا نستطيع أن نقول ذلك عن الخبر الآتي^(١) : « ذكر عبيد أن شمر يرعش بنى نصباً في السغد وكتب عليه « من بلغ هذا المكان فهو مثلي ، ومن جاوزه فهو أفضل مني » ، ثم قال عبيد : « وأنا أرجو أن يظهر الله أمير المؤمنين بذلك الموضع من الأرض ، فيعلم أني قد أدبت إليه من حديثي علماً » . قال معاوية : « اللهم أرنا تصديق قول ابن شريفة ، فإنه يذكر عجباً ، وإن شاء ربي فعل ذلك » . فبلغني عن الشعبي أنه ذكر عن رجل من خيوان همدان يقال له عبد الله ، قال : « بينما نحن بالسغد مع قتيبة بن مسلم الباهلي ، وافتتح سمرقند ، إذ نظر إلى حجر ملصق على الباب فيه خطوط كأنها بالعربية وليست بها ... فقرأ على مثل ما ذكره عبيد لمعاوية ، ورواه عنه من رواه » . فهذا الخبر ليس من رواية عبيد ، ولا ندرى منه من الذي يرويه عن الشعبي . ولكننا نجد الخبر نفسه في كتاب التيجان لوهب بن منبه مروباً عن ابن هشام^(٢) : « قال أبو محمد [بن هشام] حدثني عامر بن جهم الأنصاري ، عن مكحول ، عن الشعبي ، قال : « حدثني رجل من خيوان همدان ... الخ » . إذن فهذا الخبر ليس من رواية عبيد ، بل حدث بعد موته ، وهو من صلب الكتاب ، ولا يظهر عليه أنه مقحم في هذا الموضوع . وكذلك نرى بعض الأسماء والأنساب والأشعار تختلف روايتها باختلاف المواضع ، حتى أكثر الناشر من الإشارة إلى ذلك^(٣) ، مما يجعلنا نظن أن هذه الاختلافات ترجع إلى رواة مختلفين ، لا عبيد وحده .

(١) ٤٢٩ . (٢) وهب بن منبه : التيجان ٢٣٧ .

(٣) ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، وغيرها .

وهناك أخبار أخرى منسوبة لعبيد ، ولكننا لا نستطيع أن نصدق أنه يتفوه بها أمام معاوية . يقول ^(١) : « وبلغني أن أولاد بربر بن كنعان بن كوش بن حام الذين يزحفون لرجل من ولد فاطمة حتى يردوه إلى مكة ، وهو صاحب العدل في آخر الزمان ، وأصحابه يقال لهم : الغرباء » . قال له معاوية : « قلت الصواب إن شاء الله ، وإن كلامك طيب وشفاء لما في الصدور » . ولا شك أن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن عبيد أمام معاوية . أما تعليق معاوية على كلامه فلا يحتاج إلى إنكار من أحد ، فإنه أوهى مما يحتاج إلى الإنكار .

وينسب إلى عبيد أيضا أنه قال ^(٢) : « وقد ذكرناها في كتابنا هذا » . وهذه العبارة كبيرة الأهمية ، لأنها تدل على أن القائل كان يتصور هذه الأخبار كتاباً لا مجالس سمر ، مما قد نستنتج منه أن الكتاب لم يكن مجالس حقيقية ، وإنما مؤلف على نهج المجالس . لو أضفنا كل هذا إلى ما لاحظناه على العنوان والمقدمة ، نخرجنا بأن الكتاب من جمع ابن هشام ، وأنه عمل فيه ما عمل في سيرة ابن إسحاق ، أو أنه دخلته عناصر غريبة كثيرة ، بعضها مصرح بنسبتها ، وبعضها غير مصرح .

ولكن الأستاذ كرنكو يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيصرح بأن عبيد بن شربة شخص خيالي لا وجود له ، وأن الكتاب من تأليف ابن هشام أو البرقي أو محمد بن إسحاق ، مكمل به المؤلف ما ينقص كتاب وهب بن منبه من أخبار . ويستدل على ذلك بتلك الأخبار التي سمينها غريبة عن الكتاب ، وبغيرها من الأدلة ، ومنها عدم ورود ذكر لعبيد في كتب الرجال . ونحن لا نستطيع أن نذهب

معه إلى هذا الحد ، كما لا نستطيع أن نرفض رأيه يقيماً . فعدم ورود اسم عبيد في كتب المحدثين دليل على أنه لم يرو الحديث ، وليس بدليل على عدم وجوده . ولعل هذا الرأي غريب لأنه كان من المنتظر من رجل مثل عبيد ، عني بالتاريخ الجاهلي ، أن يعنى كذلك بالتاريخ الإسلامي ، فيؤدى ذلك بالمحدثين إلى الكلام عنه ، ولو في باب الضعفاء من المحدثين . كما أننا لو قلبنا صفحات كتاب المعمرين^(١) نجد القصة التي يروون أنها جرت بينه وبين معاوية ، تروى بأشكال مختلفة ، ولكن متقاربة ، على أنها حدثت لأفراد آخرين غيره من المعمرين . فهذه الدلائل تغرينا على السير إلى جانب الأستاذ كرنسكو . ولكن الأمر اليقيني الذي لا يخامرنا فيه شك ، أن الكتاب ، بهذه الصورة الراهنة ، ليس من تأليف عبيد ابن شريفة .

وهذه فقرة من الكتاب تبين لنا أسلوب عبيد ، قال :^(٢)

« قال معاوية : فمن ملك بعده [بعد ذى القرنين] ؟ »

قال : « ملك بعده ملكي كرب بن أسعد بن تبع الأكبر بعد أبيه . وكان رجلاً ضعيفاً ، لم يكن يفزو أحداً حتى مات ولم يبعث جيشاً . فأما أهل اليمن فيزعمون أنه كان يتحرج من الدماء . وأما أهل الرأي والمعرفة والبصر بالأمور ، فإنهم يقولون لم يكن ذلك منه إلا عن قلة التجربة وقلة الأنفة وصغر الهمة ، لأنه لم يحدث دعوة في ملكه ، ولم يعبر عن دين ولا طريقة أحد من قبله . »

قال معاوية : « وما تعبير حال الملك ؟ »

قال عبيد : « يا أمير المؤمنين ، لم يكن يغير من شيء يفعله آباؤه ، ولا أزال

(١) أبو حاتم السجستاني : كتاب المعمرين ٧ . ٦٧٠ ، ٨٣ ، ٨٧ .

(٢) ٤٣٩ .

شيئاً من جبروت الملك ، ولا أحدث تواضعا ولا قربا من الناس ، ولا زال عن تجبره وعتوه ، وأشد أمره باليمن لا يجاوز أرض اليمن إلى غيرها ، بلد عرب أو عجم .
قال معاوية : « فكيف ملككم يا عبيد ، وكيف استقام لهم أمرهم على تلك الحال ؟ »
قال عبيد : « لأنهم أحبوا الدعة والسكون ، وكانوا قد ملوا الغزو والحروب ، وكثرة المسير في البلدان » .

قال معاوية : « فكم ملككم على هذا الحال ؟ »

قال : « ملكهم خمسا وثمانين سنة » .

قال معاوية : « فمن ملك بعده ؟ »

قال عبيد : « ملك ابنه تبع أسعد بن ملكي كرب » .

هذه هي الكتب التي ترجح بينها الرأي في اختيار الأول في الظهور . ثم ظهرت كتب السير والمغازي التي تتناول حياة الرسول بالدرس . وقد رأينا أن من عوامل ظهور هذه الدراسة جمع الأحاديث ، سواء ما تناول الناحية الفقهية ، وما تناول الناحية التاريخية من حياته ، بدافع من الرغبة الدينية . وكذلك كان العرب ينظرون إلى النبي نظرهم إلى بطل من الأبطال وحدهم وهياهم لفتح الأمم ، فعنوا بتاريخه كما عنوا بتاريخ أبطالهم في الجاهلية . ولا ننسى مع ذلك أنهم أرادوا أن يضعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بإزاء موسى وعيسى اللذين فخر بهما أهل الكتاب وألقوا عنهما الكتب ، وأحاطوها بالقصص الصحيحة وغير الصحيحة . كل أولئك وغيره اجتمع فأثر كتب المغازي والسير ، التي تعتبر بداية التأليف العلمي في التاريخ لأنها كانت تستند إلى الأحاديث التي كان يراعى فيها الدقة إلى أبعد غاية ، فأصبحت الأحاديث دقتها على التاريخ . ولذلك نشعر للوهلة الأولى بأننا نستند إلى أساس علمي وثيق ، حتى لو سلمنا في نفس الوقت بشيء من الشك في الأحاديث التي تناولت

العهد المسكى خاصة من حياة الرسول . وقد ترك هذا الارتباط بالأحاديث أثرًا لا يمحى في أساليب التأليف التاريخي ، إذ كثرت مواطن التشابه بين النوعين . وكانت المدينة موطن هذه الدراسة ، فلم يختص أحد بالتأليف في المغازي والسير قبل القرن الثاني من الهجرة خارجها .

أبان بن عثمان

أول من اشتهر بالتأليف في المغازي أبان بن عثمان بن عفان المتوفى عام ١٠٥ هـ أو قبله . وكان أبان من علماء الحديث والفقه أيضاً . يقول ابن سعد في أثناء حديثه عن المغيرة بن عبد الرحمن ^(١) : « وكان ثقة قليل الحديث ، إلا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها » . وكان المغيرة هذا في جيش مسامة بن عبد الملك الذي توجه للحرب الروم عام ٩٦ هـ ، واسترجعه عمر بن عبد العزيز في عام ٩٩ هـ ^(٢) . ولذلك لا يمكن المغيرة أن يأخذ المغازي إلا عن أبان بن الخليفة عثمان ، وليس عن أبان بن عثمان البجلي الشيمي ، الذي عاش بعد ذلك التاريخ بجيل أو اثنين ^(٣) .

ويبدو أن هذه المغازي التي رواها المغيرة عن أبان ليست كتاباً بالمعنى الدقيق ، وإنما هي مجموعة من المواد المتعلقة بحياة النبي . ويظهر أن هذه الأخبار ضاعت ،

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ١٥٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ١٣٠٥ ، ١٣٤٦ .

(٣) هو روفقس : المغازي الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ، ص ٥ .

ولم يأخذ عنها أحد من كتاب السير المتأخرين . فلم يأخذ عنه ابن إسحاق ولا ابن سعد (الجزء المخصص للسيرة من طبقاته) . أما خبر أمر العباس وبعض بني هاشم الذي يرويه ابن سعد ^(١) عن أبان ، عن معاوية بن عمار ، عن جعفر بن محمد (المتوفى عام ١٤٨ هـ) فإنه يتضح من الإسناد أنه لا يقصد أباناً هذا ، وإنما يقصد أبانا البجلي الشامي .

ولكن ابن سعد يذكر أبان بن الخليفة عثمان خارج السيرة ، حين يورد الكلمات الأخيرة التي تفوه بها عمر بن الخطاب عند وفاته ، وقد سمعها أبان من والده ^(٢) . ويذكره ابن قتيبة أيضاً في الشعر والشعراء ^(٣) ، على أنه راوى الخبر القائل بأن معاوية اشترى البردة ، التي أعطاها النبي - صلى الله عليه وسلم - مكافأة له عن قصيدته :

بانت سعاد ...

وأن الحكماء كانوا يلبسونها في الأعياد . وفيما عدا ذلك لا يوجد لأبان ذكر في كتب التاريخ ، وإن كانت كتب الحديث تسكر من ذكره .

عمرو بن الزبير

عمرو بن الزبير المتوفى عام ٩٤ هـ من معاصري أبان ، الذين ألفوا في التاريخ ، ولم يقتصر عمرو على الروايات الشفوية ، بل دون بعض الأحداث التي طلبها منه عبد الملك بن مروان ، أو ابن أبي هنيذة ، الذي كان في بلاط الوليد ، في رسائل بعضها إليهما . وقد وصل إلينا بعض هذه الرسائل في صفحات ابن إسحاق ، والواقدي ، والطبري .

(١) ابن سعد : الطبقات ٤ : ٢٩ . (٢) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٩٢ .

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٠٩ .

تتناول رسالة عمروة الأولى إلى عبد الملك هجرة الحبشة ^(١) . وتتناول الثانية موقعة بدر ^(٢) ، والثالثة تناول فتح مكة ^(٣) . وتناول عمروة أيضاً وفاة خديجة ، وهجرة النبي والصحابة إلى المدينة ، وخبر زواج النبي من أخت الأشعث بن قيس . وقد روى هذه الأخبار عنه ابنه هشام . أما رسالته لابن أبي هنيذة فرواها الزهرى ، وتتناول المناسبة التاريخية للآية العاشرة من السورة الستين ^(٤) .

وتمثل كتابات عمروة المشار إليها أقدم المدونات التي وصلت إلينا عن بعض الحوادث الخاصة في حياة النبي ، كما تمثل أقدم آثار الكتابة التاريخية العربية . ولا تذكر المراجع القديمة أى كتاب ألفه عمروة عن المغازى ، ولكن حاجي خليفة يقول إنه أول من صنف في المغازى ^(٥) . ولم يعن عمروة بجمع الأخبار عن جميع فترات حياة النبي فحسب ، بل عنى أيضاً بحوادث الخلفاء الأولين أيضاً ، فنراه يعالج وقعتى القادسية واليرموك وبعض حوادث فتوح الشام ^(٦) . ويعنى عمروة أيضاً بتاريخ الزبيريين ، ولذلك نرى أكثر أخبار الحزب الزبيرى وحروبه وفتنه مروية عنه في الكتب التاريخية مثل الطبرى وحلية الأولياء أو الكتب الأدبية مثل الأغاني ^(٧) .

وتمتاز كتابات عمروة بأنها لا تهمل الإسناد إهمالا تاما ، كما أنها لا تمنى به عناية متشددة . فهو أحيانا لا يذكره وأحيانا يذكره ^(٨) . ولذلك يكون من الخطأ

-
- (١) نفس المرجع ١ : ١١٨٠ . (٢) نفس المرجع ١٢٨٤ .
 (٣) الطبرى : تاريخ ١ : ١٦٣٤ . (٤) ابن هشام : السيرة ٣ : ٣٤٠ .
 والطبرى : التفسير ٨ : ٤٢ . (٥) كشف الظنون ٥ : ٦٤٦ .
 (٦) الطبرى : تاريخ ١ : ١١٨٥ ، ١١٩٩ ، ١٢٤٢ وغيرها .
 (٧) انظر فهرست الطبرى والأغاني والفصل المختص لعبد الله بن الزبير في الحلية .
 (٨) الطبرى : تاريخ ١ : ١١٤٠ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٥٤ ، ١١٦٧ وغيرها .

أن تنهم عروة بتهمة إغفال الأسانيد ، وإنما نقول إن الإسناد أصبح عادة في ذلك الوقت ، وإنه لم يصبح بعد ضرورة لازمة على كل مؤلف في التاريخ . وتمتاز كتاباته أيضاً بأنها تنهى بالإشارات القرآنية إلى الحوادث الإسلامية . فتمحوّل شرحها ، كما أثرنا قبل . بل إنه يتجاوز ذلك إلى استعمال الألفاظ القرآنية في كتاباته ، لنشير إلى مدلولها القرآني ، مثل استعماله لكلمة « العتمة » في حديثه عن الفجر بين الحبسية والمدنية ، متبعاً الآية الأربعين من السورة الثامنة . ولا يفتقر عروة بالأحاديث وحدها ، وإنما يعنى أيضاً بالوثائق المكتوبة ، مثل رسالة النبي إلى أهل هجر ، وإلى درعة بن ذي يزن ، وإلى عبد الله بن جحش^(١) . وعلى الرغم من فقه عروة ودينه لم يكن خصماً للشعر ، بل يشره في الحوادث ، على لسان المشتركين فيها ، مثله في ذلك مثل النموذج المعروف من التاريخ الجاهلي . وإنه يبدو أن هذا الدين كان له أثره في « حية أخرى » ، تلك هي خوفه من إبداء رأيه في الحوادث ، وإنما يجمع المأثور والحديث ، كما يقول ابن هشام^(٢) . ولعل ذلك هو الذي جعله يروى في تاريخه بعض الأخبار التي لا يستطيع تصديقها بسهولة ، وربما كانت هذه الأخبار من أثر أجنبي ، يهودي أو حبشي أو نصراني .

وهذه إحدى رسائل عروة التي أرسلها إلى عبد الملك بن مروان^(٣) :

« ثنا أمان العطار قال ، ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك .
« أما بعد ،

« فإني كتبت إلى أبي سفيان ومخرجه ، تسألني كيف كان شأنه ؟ كان

(١) البلاذري : فتوح البلدان ٦٩ ، ٧٩ . والطبري : تاريخ ١ : ١٢٧٣ .

(٢) ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٣ . (٣) الطبري : تاريخ ١ : ١٢٨٤ .

من شأنه أن أباسفيان بن حرب أقبل من الشام في قريش من سبعين راكبا من قبائل قريش كلها ، كانوا تجارا بالشام ، فأقبلوا جميعا معهم أموالهم وتجارتهم . فذكروا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخله ، وأسرت أسارى من قريش فيهم بعض بنى المغيرة ، وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بنى عدي بن كعب في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعضهم مع عبد الله بن جحش . وكانت تلك الواقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وأول ما أصابه بعضهم بعضا من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام .

ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام ، فسلكوا طريق الساحل . فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه ، وحدثهم بعامهم من الأموال ، وبقلة عددهم . فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم . وهي التي أنزل الله عز وجل فيها « وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ » فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون له ، بعث إلى قريش أن محمدا وأصحابه معترضون لكم ، فأجبروا تجارتكم . فلما أتى قريشا الخبر ، وفي غير أبي سفيان من بطون كعب بن لؤي كلها ، نفر لها أهل مكة . وهي فرقة بنى كعب بن لؤي ، ليس فيها من بنى عامر أحد إلا ما كان من بنى مالك بن حسل . ولم يسمع بنفر قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم بدرا . وكان طريق ركبان قريش من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام ، فخنس أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق

الصاحلي ، وشاق الرّمد على بدر ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرس قريشا
من بدر . ويشت النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه
إلى ماء بدر ، وليسوا يحسبون أن قريشا خرجت لهم . فبينما النبي صلى الله عليه
وسلم قائم يصلي ، إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر ، وفيهم من ورد من الروايا غلام
لبنى لحجاج أسود . فأخذته النّف الذين بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
الزبير إلى الماء ، وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش . فأقبلوا به حتى أتوا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في معرسته . فسأله عن أبي سفيان وأصحابه ، لا يحسبون
إلا أنه معهم . وطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رؤوسهم
ويصدقهم الخبر ، وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم ، وإنما يطلبون حينئذ
بالركب أباب سفيان وأصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، يركع ويسجد ويسمع ما يسمع
بالعبد . فطلقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ضربوه وكذبوه وقالوا : إنما
تسكتنا أباب سفيان وأصحابه . فجعل العبد إذا أذلقوه بالضرب ، وسأله عن
أبي سفيان وأصحابه ، وليس له بهم علم ، إنما هو من روايا قريش ، قال : « نعم
هذا أبو سفيان » والركب حينئذ أسفل منهم ، كما قال الله عز وجل « إذ أنتم
بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم » حتى بلغ
« أمرا كان مفعولا » . فطلقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أنتم ، ضربوه .
وإذا قال لهم ، هذا أبو سفيان : أتركوه . فلما رأى صنيعهم النبي صلى الله عليه وسلم
انصرف من صلاته ، وقد سمع الذي أخبرهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : والذي نفسي بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق ، وتتركونه إذا كذب .
قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشا قد جاءت . قال : فإنه قد صدق ، قد خرجت قريش
تجبر ركابها . فدعا الغلام فسأله ، فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لي بأبي سفيان

فسأله « كم القوم » ؟ فقال : « لأأدرى والله ، هم كثير عددهم » . فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أطعمهم أول من أمس » ؟ فسمى رجلاً أطعمهم فقال : « كم جزائر بحر لهم » ؟ قال : « تسع جزائر » . قال : « فن أطعمهم أمس » . فسمى رجلاً . فقال : « كم بحر لهم » . قال : « عشر جزائر » فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » . فكان نفر قريش يومئذ خمسين وتسعمائة . فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الماء ، وماء الخياض ، وصف عليها أصحابه حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ، قال : هذه مصارعكم . فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه ، فلما طلمعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذه قريش قد جاءت بحكمتها وفخرها تمجداً وتكذب رسولك ، اللهم إني أسألك ما وعدتني . فلما أقبلوا استقبلهم فخفاً في وجوههم التراب فهزمهم الله . وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان ، والركب الذين معه : أن ارجعوا ، يأمرهم قريش بالرجعة بالجحفة ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نزل بدرا ، فنقيم به ثلاث ليال ، ويرانا من غشينان أهل الحجاز . فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا . وهم الذين قال الله عز وجل « الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس » فالتقوا هم والنبي صلى الله عليه وسلم ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفي صدور المسلمين منهم .

وإذا أحببنا أن نعرف طريقة عمروة في التأليف من هذه الرسالة ، نجدد يعني في سرده الغزوة بالمقدمات التي سبقتها وأدت إلى وقوعها ، ويعني في أثناء السرد بإقامة الأدلة على صحة ما يقول من الآيات القرآنية ، ونجدد يشير إلى الأشياء التي لا يطمئن إليها ، أو يخاف أن يتحمل مسئوليتها بكلمة « زعموا » ، كما حدث في روايته عدد قريش والأقوال المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن يبدو أنه كانت تأخذه أحياناً حماسة السرد ، فينساق وراء الموضوع الرئيسي ،

ويترك بعض التفاصيل ، فيرجع إليها بعد ما ينتهي ، ويقول مثلاً : « وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان . . »
هذا ما نستطيع أن نستخلصه من هذه الرسالة ، إلى جانب تذوقنا لأسلوبه البسيط ، الذي لا يخلو من فصاحة عربية غير متكلفة ، بل عاطفة صادقة يحسها القارئ في ثنايا الوصف .

ولهب بن منبه

أما وهب بن منبه المتوفى عام ١١٠ هـ فليس من المدينة ، ولكن من دمار بجوار صنعاء عاصمة اليمن . ولا تذكره كتب السيرة القديمة على أنه أحد رواة السيرة ، ولكن حاجي خليفة^(١) يقول عنه : إنه جمع المغازي . وقد تبين صدقه ، إذا اكتشف بيكر بين مجموعة أوراق بردي شت رَينْهَارْدْت ، المحفوظة في هَيدِلْبِرْج مجلدأ يحتوي على قطعة من هذه المغازي . وتتناول قطعة هيدلبرج تاريخ العقبة الكبرى ، واجتماع قر يش في دار الندوة ، والهجرة ، وغزوة بني خيثة ، مما يدلنا على أن وهباً تناول الفترة المسكية والمدنية من حياة الرسول . ويقول بعض من رأى هذه القطعة إن وهباً يهمل فيها الإسناد ، ويعنى بالشعر^(٢) .
وحفظت حلية الأولياء لهب قطعتين من المغازي ، تتناول الأولى فتح مكة^(٣) ، والثانية وفاة النبي صلى الله عليه وسلم^(٤) . وهو يذكر الإسناد في القطعتين . وهذه

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون رقم ١٢٤٦٤ .

(٢) هوروفتس : كتب المغازي الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ،

ص ٣٤ .

(٣) الأصبهاني : الحلية ٤ : ٧٩ . (٤) نفس المرجع ٧٣ .

هى القطة الثانية يقول فيها : « فلما كان يوم الأحد ثقل فى مرضه ، فأذن بلال بالأذان ثم وقف بالباب ، فنادى : « السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، الصلاة ، يرحمك الله » . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال ، فقالت فاطمة : « يا بلال ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه » . فدخل بلال المسجد ، فلما أسفر الصبح قال : « والله ، لا أقيمها أو أستأذن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فرجع وقام بالباب ونادى : « السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، الصلاة ، يرحمك الله » . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال ، فقال : « ادخل يا بلال ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغول بنفسه ، صرأبأ بكر يصلى بالناس » . فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول : « وا غوثاء بالله ، وانقطاع رجائى ، وانقضاء ظهرى . ليتنى لم تلدنى أمى ، وإذا ولدتنى ليتنى لم أشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اليوم » . ثم قال : « يا أبا بكر ، ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تصلى بالناس » . فتقدم أبو بكر رضى الله عنه للناس ، وكان رجلاً رقيقاً ، فلما نظر إلى خلو المكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتألك أن خرم فشيأ عليه ، وصاح المسلمون بالبكاء ... فلما كان فى يوم الإثنين اشتد به الوجع ، وأوحى الله تعالى إلى ملك الموت عليه السلام ، أن اهبط إلى حبيبى وصفى محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة ، وارفق به فى قبض روحه . فهبط ملك الموت عليه السلام فوقف بالباب شبه أعرابى ، ثم قال : « السلام عليكم ، يا أهل بيت النبوة ... » .

وهذه الفقرة طويلة مفصلة ، ولكن قارئها لا يسعه إلا أن يشك فيها الشك الشديد ، فأسألوا بها ما لا نألفه فى أساليب تلك الفترة ، وعباراتها غريبة عن الرجل العربى الذى يعيش فى ذلك العصر ، وقد لعب فيها الخيال دوراً كبيراً . ولذلك

إذا سمحت نسبتهما لوهب ، فإننا لا نستطيع أن نطلق عليه لفظ مؤرخ ، وإنما يلائمه لفظ قصاص .

ويجب أن نذكر أن وهباً اتجه في التاريخ وجهة جديدة لم تكن بها مدرسة المدينة قبله ، تلك هي عنايته بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ اليمن . فالأستاذ هوروقس ينسب لوهب « كتاب المبتدأ » الذي عزاه ابن النديم لحفيده عبد المنعم^(١) . ويرى أن العنوان يشير إلى مبتدأ الخلق . ولكننا لا نرى داعياً لهذا ، ونرى أنه ربما جمع عبد المنعم مواد كتابه ما في كتب وهب الأخرى ، وخاصة كتابه في تاريخ اليمن ، الذي عني فيه بتاريخ الخليفة والأنبياء . ولم يمن وهب بالأنبياء وحدهم بل بالمعبود أيضاً^(٢) . وأهل الكتاب الذي ينسبه إليه حاجي خليفة عن « الأخيضر^(٣) » هو نفس كتابه عن العباد .

ويعتمد وهب في جميع هذه الكتب على أخبار أهل الكتاب ، يهود ومسيحيين ، اعتماداً شديداً . وقد اشتهر بذلك حتى قيل عنه إنه قرأ ٧٠ أو ٧٢ أو ٧٣ أو ٩٢ من كتبهم المقدسة^(٤) . ولكننا لا نستطيع الاطمئنان إلى هذا القول ، وإنما نرجح أنه استقى هذه الأخبار من أهل الكتاب الذين اتصل بهم في موطنه اليمن ، الذي اشتهر منذ الجاهلية باستيطان هاتين الديانتين وتصارعهما فيه . بل بلغ الأمر بهذه الشهرة إلى حد أن نسب إلى وهب كتاب يسمى

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ج ٧ من القسم الثاني ص ٩٧ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ٤ : ٥١٨ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٩٥ . وكتاب التيجان ٢ .

« الإسرائيليات » ، كما يقول حاجي خليفة ^(١) . واسكنن ياقوتا يقول عنه إنه كان « كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات ^(٢) » ، أى يستعمل اللفظ وصفاً لمصادر وهب ، لا عنواناً لأحد كتبه . ولذلك يرجع أن كتاب الإسرائيليات هذا عبارة عن مجموعة الأخبار التى استقاها وهب من أهل الكتاب جمعها بعض المتأخرين ، وزاد عليها حتى صارت كتاباً ، عرفه حاجي خليفة بذلك الاسم . وقد قام بتلك المحاولة ثانياً شوفان ^(٣) ، واسكننها مخففة ، لأن هذه الأخبار غير كافية لتكوين كتاب ، ولأنها دخلها كثير من الاتحال حتى عارض بعضها بعضاً ، وكثر فيها الخلط والتهوئش . ولا يلام وهب كل اللوم على هذا الخطأ والتعارض ، لأن الأخبار الصحيحة عنه تطابق أخبار أهل الكتاب مطابقة كبيرة . وما شذ عن ذلك يرجع إلى تغيير نفس المصادر التى استقى منها وهب ، أو إلى تغيير منه لتلائم الذوق الشعبي ، أو هى من عمل المتأخرين الذين غيروا فيها لتلائم القصص الشعبي .

والأمر الثانى الذى يمتاز به وهب هو كتابة تاريخ وطنه اليمن الخراى القديم ، فى رسالة خاصة تسمى « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشمارهم » ، كما يقول ياقوت ^(٤) . ولسوء الحظ لم يصل إلينا هذا الكتاب ، وإنما وصل إلينا كتاب يسمى « كتاب التيجان فى ملوك حمير » . وهو من رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبى إدريس بن سنان عن جده

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ٥ : ٤٠ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ٩ : ٢٣٢ . (٣) النسخة المصرية من ألف ليلة وليلة ٥٧ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ٩ : ٢٣٢ .

لأمه وهب بن منبه . ولكن كل من يتصفح الكتاب يستطيع أن يرى بسهولة أنه ليس كله لوهب ، وإنما تصرف فيه ابن هشام تصرفه في سيرة ابن إسحاق ، وإن كان لا يصرح بذلك كما فعل في السيرة . ولذلك لا نستطيع أن نعرف مدى تصرفه ، غير أننا يمكننا أن نعرف الإضافات التي جلبها من روايات أخرى ، وصرح بسندها . فهو يروي أخباراً عن محمد بن إسحاق عن طريق تلميذه البكائي الذي روى السيرة ^(١) ، أو عن طريق تلميذه الآخر المسمى أبا عباد الهمداني ^(٢) ، ويروي عن أبي مخنف ^(٣) ، وعن محمد بن السائب الكلبي ^(٤) ، وعن عبيد بن شربة ^(٥) ، وعن بعض المحدثين ^(٦) ولكنه إلى جانب ذلك يروي مجموعة كبيرة من الأخبار التي لا يسندها إلى أحد ^(٧) . وهي بالطبع ترجع إلى رواة مختلفين ، قد يكون منهم وهب نفسه ^(٨) . والأمر الجدير بالملاحظة أننا نرى جل الأخبار قبل الصفحة المئة من الكتاب منسوبة إلى وهب ، ولكنها تقل شيئاً فشيئاً حتى تسكاد تنعدم بعد ذلك .

والكتاب كما قلنا يتناول تاريخ اليمن ، فيبدأ بحلق العالم ، وقصص آدم وأولاده ، حتى عهد نوح وأولاده . ثم يلتفت وهب إلى العرب من الساميين ، وإلى عرب الجنوب خاصة ، ويسرد تاريخ أقيالهم وملوكهم ، ويعني بغزواتهم في أرجاء الأرض ، ويذكر هجرة عمرو بن عامر من اليمن إلى شمال بلاد العرب ، كما يذكر بعض ملوك غسان .

ولا يختلف كتاب التيجان لوهب كثيراً عن كتاب عبيد بن شربة في طريقة العرض . فهما يطلقان عليهما العنان في تصوير الوقائع ، ويلونان الحوادث التاريخية

(١) كتاب التيجان ١١٥، ١٢٨ وغيرها .

(٢) ٢٥١ (٣) ١٢٥ ، ١٨٠ . (٤) ١٣٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٠ .

(٥) ٢٠٩ ، ٦٦ (٦) ١١١ ، ١٣٥ ، ١٦٤ ، ٢٣٧ وغيرها .

(٧) ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٦ وغيرها . (٨) ٢٥٥ ، وانظر حلية الأولياء ج ٤ .

بأطراف خيالية قد تخرج بها إلى حد الخيال والأسطورة ، كما يدخلان في تاريخهما الكثير من الحوادث التي لا أصل لها ، ولذلك يصدق عليهما اسم القصص التاريخي أكثر من أي نعت آخر . ونحن نعدّها امتداداً للحركة القصصية التاريخية التي كانت موجودة في الجاهلية . وأهل الذي نسخ الكتابين في نسخة واحدة رجل حكيم ، عرف منهما مواطن الشبه هذه ، التي تجعلنا لا نجد بينهما كبير فرق .

ويكشف هذا الكتاب عن بعض خصائص وشب ، فهو مثل الجاهليين مفرم بالشعر ، مكثّر من روايته . وأكثّر هذا الشعر منحول سخيف ركيك . ينسب وهب إلى آدم أنه قال حين قتل هابيل ^(١) :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا	فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مُغْبِرٌ قَبِيحٌ
وَجَاوَرَنَا عَدُوٌّ لَيْسَ يَهْدِي	أَعْيُنٌ لَا يَمُوتُ فَأُسْتَرِيحُ
أَيَا هَابِيلُ يَا أَمَرَ الْفُؤَادِ	أُبَمِّدَ أَعْيُنَ مَسْكَنِكَ الضَّرِيحُ
تَحَلَّى تَخَلَّقَ الْأَجْسَادُ فِيهِ	وَيَبْلَى عِنْدَهُ الْوَجْهَ الصَّدِيعُ
فَعَيْنِي لَا تَجِفُّ عَلَيْكَ سَحَابًا	وَقَلْبِي الدَّهْرَ مَحْزُونٌ قَرِيحُ

ولكن هناك بعض أشعار جيدة . ينسب إلى عبد شمس أنه قال يوصي ابنه بابلليون ^(٢) :

أَلَا قُلْ لِبَابِلْيُونَ وَالْقَوْلُ حِكْمَةٌ	مَلَسْتُ زَمَامَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فَأَجْمَلُ
وَحُذِّ ابْنِي حَايِمَ مِنَ الْأَمْرِ وَشَطَطِهِ	فَإِنْ صَدَفُوا يَوْمًا عَنِ الْحَقِّ فَأَقْتُلِ
وَإِنْ جَفَحُوا بِالْقَوْلِ لَارْفَقِ طَاعَةً	يُرِيدُونَ وَجْهَ الْحَقِّ وَالْعَدْلَ فَاعْدِلْ

ولا تُظْهِرْنَ الرَّأْيَ فِي النَّاسِ يَجْتَزُوا عليك به واجمعه ضربة فيحصل
ولا تأخذنَّ المالَ من غير وجهه فإنك إن تأخذنه بالرفق تسهل
ويروى وهب أيضا بعض أشتار ينسبها للناطقة الديباني ، ولبيد ، والأعشى ،
وامرى القيس ^(١) . أما بيت الناطقة ومقطوعة لبيد فهما في ديوانيهما ، وأما مقطوعتا
الأعشى وامرى القيس فلم أجدهما في ديوانيهما المطبوعين .

وقد تأثر وهب بالقرآن أيضا في القصص التي ورد ذكرها فيه ، فيحاول أن
يتبع خطاه ، وأن يستند إلى آياته . يقول في وصفه الخلق ^(٢) : « فاضطرب الماء
وهاج ، فاصطفق ، فأزبد ، فصار أرضا ، فخلق الله الحوت والبحر من ذلك الزبد
ثم رفع الله السماء وهي دخان » فقال لها والأرض اثريا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا
طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين » وخلق الملائكة ، وأوحى في كل سماء
أمرها ، أسكنهم السماوات يسبحون ويهللون ويقدمون الواحد القهار ، وخلق
الجبال في الأرض أوتادا .

وتظهر عند وهب نزعة إسلامية واضحة ، فهو يعنى بجلب آراء العلماء المختلفين
في بعض المواضع ، مثل اختلافاتهم في خلق الجنة ، وفي قتل قابيل وهابيل ^(٣) .
وأسلوب وهب في كتابه بسيط صريح منطوق لا تثقله أى حلى ، ولا يقف
عند زينة ، ولسكن نجد عنده القطع الأرجوانية التي تكلمنا عنها في أثناء حديثنا
عن عبيد ، تلك القطع رسائل المشتركين في الحوادث وخطبهم وشيء من حوارهم
قال وهب ^(٤) : « ولما أراد الله إتمام أمره ، وإظهار العربية ، أنزل كتابا مقطعا ، وهو :
« شهد الله بالحق ، بسم الله الرحمن الرحيم ، شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وللملائكة

وأولوا العلم ، قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . حكم الحى القيوم أنه إذا اعتكر الزمان ، وكثر النسيان ، وحكم فى ذرية آدم الشيطان ، وغاب هذا اللسان ، فعبدت الأوثان ، وقتل الولدان : أن يبعث الله محمدا بالعدل والبيان ، يصدع بالقرآن ، وينصر الإيمان ، زمان ظهور السودان ، ، نبي لا نبي بعده ، ولم يخلف الله وعده ... »

وتذكرنا هذه القطع الأرجوانية بالشاعر الشعبي فى المقامى فى مصر ، إذ نراه يقص حكايته بأسلوب بسيط منطوق ، حتى يأتى إلى حديث أبطال قصصه وخطبهم ، ورسائلهم ، فنرى أسلوبه يرتفع ويحمل ، بل نراه يفخم من لهجته وينطق بها متعملا مترويا . ولا يظهر فى هذه القطع الأرجوانية من الحلى إلا السجع والازدواج وتوازن العبارات . ويبدو أن وهبا كان عارفا باللغة وأساليبها الأدبية . يقول فى شرحه للآية « لا عاصم اليوم من أمر الله » فى أثناء كلامه عن نوح ^(١) : « والعرب تحمل فاعل فى موضع مفعول ، قال الله : « فى عيشة راضية » و« ماء دافق » أى مرضية ومدفوق » .

وأخيرا نجد فى تاريخ وهب ما وجدناه فى مواعظه من إسرئيليات تنفذ إليه وتشيع فيه ، وخاصة أن الموضوعات التى تناولها كانت تساعد على هذا الانتشار وأظهر ما تتضح هذه الإسرئيليات فى الجزء الأول من الكتاب الذى يعالج فيه المؤلف كيفية خلق العالم وآدم وأولاده حتى نوح عليه السلام وأبنائه الثلاثة . كما يشتد وضوحها أيضا فى تناوله لقصة بلقيس وسليمان . ويبدو أن وهبا كان يحسن العبرية والسريانية ، فراه يذكر الاسم وترجمته العربية ، فقينان عبرانى تفسره

باللسان العربي مشترى^(١) ، ومهلل عبراني وتفسيره باللسان العربي ممدوح^(٢) ومالالي سرياني وتفسيره بالعربي مسموح الله^(٣) .

ويلاحظ عليه الأستاذ كرنكو وهو يصف غزوات ذى القرنين قائلا^(٤) : « هذا الشعب ينفذ إلى جابرصا ، وهذا الشعب يصل إلى هرات ومرو وسمرقند ، وهذا ينفذ إلى جاجا وبلخا وحابلجا وبارد ، وأرض يأجوج ومأجوج » يلاحظ عليه ملاحظة جديدة بالاهتمام . يقول^(٥) : « هذه الأسماء كلها محرفة في الأصل ، والمراد بجاجا مدينة جاج فيما وراء النهر ، وهي بحيمين فارسيين ، وقد عبرت العرب اسم هذه المدينة فقالت شاش . وابلجا محرف من بلخ بالخاء ، وحابلجا لعله محرف من جابلق . والظاهر أن هذه الأسماء كلها مأخوذة من كتاب باللغة الآرامية بحيث في آخرها ألف . وأما بارد فلا أدري أى بلد يعنى بهذا » . فلو صدقت هذه الملاحظة لكان وهب يحسن الآرامية ، أو يأخذ عن يحسنا .

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل نراه يذكر بعض اللغات الأخرى مثل الحميرية حين يقول^(٦) : « وكان يقال لحمير « العرنجيج » ، والعرنجيج : العتيق » وحين يقول^(٧) : « ذو شدد بلغة حميرة كقولك : ذو شطط أى ذو عطاء » ، ومثل اللغة الحمامية حين يقول^(٨) : « الشام اسم أعجمي من لغة بني حام ، وهو طيب تفسيره بالعربي » . قد نخرج من هذه الشواهد ونحن على ما يشبه الاطمئنان من معرفة وهب باللغة العبرية والسريانية ، وفي نفسنا شيء من معرفته باللغة الآرامية والحميرية . وما يزدنا يقينا بمعرفته اللغات غير العربية ذلك القول في كثير من المراجع بأنه قرأ السكتب ، أو العدد الفلاني منها ، وأن تفسيره الكلمات العبرية والسريانية

(١) ٢١ (١) . (٢) ٢١ (٢) . (٣) ٢١ (٣) . (٤) ٩٩ (٤) . (٥) هامش ٩٩ .
(٦) ٥٦ (٦) . (٧) ٧٨ (٧) . (٨) ٤٩ (٨) .

كان صحيحاً في أغلبه . وربما استمد وهب بعض معارفه مما كان شائعاً من قصص بين أهل الكتاب ، وإن لم يوجد في إنجيل أو تورا .

هذا هو وهب بن منبه في « كتاب التيجان » صورة مكبرة معذبة من عبيد ابن شربة ، صورة أحاطت بما تركه عبيد من الأخبار ، وأكثرت من الإضافات الأجنبية عن العرب الجاهليين ، وهى إضافات أملاها الإسلام والقرآن ، وإضافات أملاها الاتصال الشديد بأهل الكتاب ، وتقبل المسلمين لمعلوماتهم ومعارفهم . وإذن فوهب هو المؤرخ القصاص ، الذى تبنى بمفاخر وطنه ، وأشاد بها للمحمة نثرية بسيطة صريحة ، تلبس وشيا من الشعر والقرآن والرسائل والخطب والأحاديث المحبرة الجملة ، وقد صاغها الخيال في إطار أدبي جذاب .

وهذه فقرة من كتاب التيجان^(١) :

« ملك الهمال بن عاد

المعروف بذي شدد ، ملك متوج

وإنه لما مات لقمان بن عاد صار الملك إلى أخيه الهمال بن عاد بن الملقاط بن السكسك بن وائل بن حمير . والهمال بن عاد هو ذو شدد ، فلما صار الملك إلى همال ذى شدد دخل إلى المقارة التى دفن فيها أخوه شداد بن عاد ، فأخرج التاج وتوج به . وكان لقمان غيبه فى تلك المقارة ، لأنه لم يكن متوجاً ، كان متواضعاً لله . فلما ولى الهمال بن عاد أخذ الملك أخذاً شديداً ، فولى ذلك حيناً من الدهر

ثم مات . وإنما قيل له ذو شدد بلغة حمير كقولك ذو شطط بن عاد بن مناح ، أى ذو عطاء .

وينسب حاجي خليفة^(١) إلى وهب كتاباً آخر يسمى « كتاب الفتوح » .
ولكن المؤرخين الآخرين لا يذكرون عنه شيئاً آخر .

عاصم بن عمر

نرجع إلى المدينة لنجد عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري المتوفى عام ١١٩ أو ١٢٠ هـ ، وقد روى عاصم عن أبيه ، واشتهر بأحاديثه عن حياة الرسول عامة ، حتى وصفه ابن قتيبة بأنه « صاحب السير والمغازي »^(٢) ، وروى عنه محمد بن إسحاق والواقدي .

وتوضح اقتباسات ابن سعد في طبقاته عناية عاصم بالفترة المسكية من حياة الرسول ، إلى جانب عنايته بالفترة المدنية . كما توضح مقتطفات الطبري أنه اهتم بتاريخ الخلفاء الراشدين ، وخاصة أخبار فتنة عثمان . ويذكر عاصم سند رواياته في غالب الأحيان ، ولكنه يهمل كثيراً أيضاً ، ويتبع غيره في رواية الأشعار على السنة المشتركة في الحوادث^(٣) . وإنما يمتاز بأنه لم يقتصر على جمع الحوادث وروايتها ، بل كان يبدى رأيه فيها ، ويعلق عليها^(٤) .
وهذا مثال من أخباره في وصف بيعة العقبة^(٥) :

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ٤ : ٣٨٧ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٦٧ ، ٤ : ١٣ .

(٤) نفس المرجع ٤ : ٨٩ . (٥) نفس المرجع ٨٨ .

« قال ابن اسحاق ، وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة :

إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عباد
ابن نضلة الأنصاري ، أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون
علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحرار
والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرفكم
قتلاً أسلتموه ، فمن الآن ؛ فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم
ترون أنكم وافون له بما دعوتكموه إليه على نهكة ^(١) الأموال ، وقتل الأشرف ،
فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذ على مصيبة الأموال
وقتل الأشرف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفيما بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا :
ابسط يدك . فبسط يده ، فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا لبشد العقد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم .

الزهري

أشهر مؤرخي جيل التابعين هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى
عام ١٢٤ هـ . وقد أمره خالد بن عبد الله القسري بكتابة السيرة له ^(٢) ، كما أمره
أيضاً بكتابة كتاب عن القبائل العربية الشمالية ، ففعل ولم يتمه ^(٣) . ومن
الواضح أن قرّة بن عبد الرحمن يعني الكتاب الأخير بقوله : « لم يكن للزهري

(١) نهكة الأموال : نقصها . (٢) الأصهباني : الأغاني ١٩ : ٦٩ .

(٣) نفس المرجع ٥٩ .

كتاب إلا كتاب نسب قومه^(١) . ويبدو أن الزهري كان واسع المعرفة بالأنساب ، يقول عنه الليث^(٢) : « وإن حدثت عن العرب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا » . ويخبرنا الزهري نفسه أنه كتب « أسنان الخلفاء »^(٣) ، وهي عبارة عن قائمة يذكر فيها تاريخ وفاة الخلفاء وأعمارهم عند الوفاة ، ومقدار ملكهم ، كما يظهر من القطعتين اللتين اقتبسهما منها الطبري . ونسب له شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي كتاباً يسمى « مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم » رواه عنه يونس بن يزيد^(٤) . ولا يصل إلينا من الزهري كتاب خاص مستقل في التاريخ ، على الرغم من كثرة ما دونه لنفسه أو للأمويين ، حتى كثرت القصص عن هذا التدوين^(٥) . واسكن بعض المتأخرين جمع الأحاديث التي اقتطفتها من مدوناته كتب الأحاديث المتأخرة في مجلد سماه « الزهريات »^(٦) .

ويبدو من الشذرات الباقية من كتابات الزهري في الطبقات خاصة أنه تناول حياة الرسول عامة ، ولم يتصر نفسه على الغزوات الفعلية وحدها ، وقد تسربت إلى أخباره بعض الإسرائيليات ، حتى قال عنه الليث^(٧) : « وإن حدثت عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت : لا يحسن إلا هذا » . ويؤثر في الزهري الفضل في أنه كان أول من قارن بين الأحاديث المختلفة المصادر في موضوع واحد ، لإدماجها في حديث واحد إجماعي ، يصدره بأسماء الرواة مجتمعين^(٨) . وكانت هذه خطوة إلى الأمام في العرض التاريخي . وكان الزهري أيضاً أول من عنى بتدوين الأنساب ،

(١) الذهبي : تراجم رجال روى محمد بن إسماعيل عنهم ٦٨ .

(٢) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٩٠ . (٣) الطبري : التاريخ ٢ : ٤٢٨ ، ١٢٦٩ .

(٤) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ٨٨ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٣٥ . (٦) كتاب المغازي الأولى ، ومؤلفوها ٦٧ .

(٧) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٩٠ . (٨) ابن هشام : السيرة ٣ : ٣٠٩ .

فأتجه بذلك وجهة جديدة في التاريخ . وقد سار الزهري على منوال غيره من المؤلفين في ذكر الإسناد تارة ^(١) ، وحذفه أخرى ^(٢) ، وفي العناية بإدخال الشعر في أخباره ^(٣) .

وللزهرى فضل كبير على الحركة التاريخية ، إذ أنه نشر كتبه بين الجمهور ، وحقق على ذلك ^(٤) . عن يرواس قال الزهري : « إياك وغُلُول الكُتب » . قلت : « وما غُلُولُها؟ » قال : « حبسها عن أهلها » ^(٥) . وقد افتخر بنشر العلم فقال : « ما صبر أحد على العلم صبري ، ولا نشره أحد نشرى » ^(٦) .

وهذه فقرة من كتاب « أسنان الخلفاء » تظهر لنا طريقته فيه . قال الطبري ^(٧) : « عن هشام بن الوليد الخزومي أن الزهري كتب لهذه أسنان الخلفاء ، فسكان فيما كتب من ذلك :

« ومات يزيد بن معاوية وهو ابن أسمع وثلاثين . وكانت ولايته ثلاث سنين وسبعة أشهر ، في قول بعضهم ، ويقال ثمانية أشهر » .

وهذه فقرة من حياة الرسول في مكة تناول مبعثه صلى الله عليه وسلم ^(٨) : « قال ابن إسحاق ، فذكر الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثته : « أن أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ،

(١) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٥ .

(٢) ابن هشام : السيرة ١ : ١٢ ، ٧٢ ، ٣٣٨ ، وغيرها .

(٣) ابن هشام : السيرة ٤ : ٥٩ ، ٢١٥ ، ٢٣٨ ، وغيرها .

(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء ٣ : ٣٦٦ .

(٥) نفس المرجع . (٦) نفس المرجع .

(٧) ابن هشام : السيرة ١ : ٢٤٩ . (٨) (٧) ٢ : ٤٢٨ . (٨) ابن هشام : السيرة ١ : ٢٤٩ .

حين أراد الله كرامته ورحمة المباد به ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كغلق الصبح » . قالت : « وحسب الله تعالى إليه الخلو ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده » .

وأسلوب الزهرى كما يبدو من هذه الفقرات سهل منطلق جميل بسيط .

موسى بن عقبة

ينقضى جيل الزهرى ، ويظهر جيل آخر ، كله من تلاميذه . ونبدأ بموسى ابن عقبة المتوفى عام ١٤١ هـ . وهو من المشهورين بمعرفة المغازى ، وألف فيها كتاباً رواه عنه ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم المتوفى عام ١٥٨ هـ^(١) . وقد ضاع هذا الكتاب إلا شذرات نحاول أن نبين صورته منها . ويبدو أنه كان أصغر حجماً من كتب المغازى الأخرى ، لأن مالك بن أنس يقول عنه^(٢) : « عليكم بغازى موسى بن عقبة ... فإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن ، ولم يكن كما كثير غيره » . وقد أكد بعضهم لألويس شبرنجر Aloys sprenger في دمشق أنه توجد منه نسخة هناك ، ولكنه لم يستطع أن يراها^(٣) .

ولكن وجدت في المكتبة البروسية الرسمية قطعة من هذه المغازى ، ترجمها الأستاذ ادوارد سخاو E. chasau إلى الألمانية في عام ١٩٠٤^(٤) . ويتضح من هذه القطعة

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣١٠ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٩١ .

(٣) كتب المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ٧٠ .

(٤) سخاو : القطعة البرلينية من مغازى موسى بن عقبة ، (تقرير عن أعمال

المجمع البروسى للعلوم عام ١٩٠٤) .

أن موسى لم يتناول المغازي بالمعنى الخاص ، بل تناول الهجرة أيضاً . وقد اقتبس ابن سعد كثيراً منه عن طريق أستاذه الواقدي ^(١) ، وعن طريق ابن أخي موسى السابق ذكره ^(٢) . وتكشف لنا هذه المقتطفات أن مغازي موسى كانت تحتوي على قوائم بالهاجرين إلى الحبشة ، وبالمشركين في بيعتي العقبة ، وبالحارثيين في بدر ^(٣) ، فتدعيم قول ابن حجر بأنه كتب هذه القوائم عندما رأى شُرَحْبِيل ابن سعد يدخل في البدريين من لم يشهد بدر ^(٤) . وكان الطبري من الذين رجعوا إليه ، فاقتبس منه أخباراً يشير أ كثرها إلى عهد الخلفاء الراشدين ، والأمويين ، إلى جانب عهد الرسول ^(٥) . ويروى في الأغاني خبر يدل على أن موسى بن عقبة اهتم بالأحداث الجاهلية أيضاً ^(٦) .

نرى مما سبق أن موسى بن عقبة ينفرد عن المؤلفين قبله بعنايته الزائدة بالقوائم ، وتدوينه لتاريخ الخلفاء الراشدين ، وبعض الأمويين ، بل التاريخ الجاهلي أيضاً . ويختص بمراعاته أكثر من غيره لنظام الإسناد ^(٧) ، وإن تركه أحياناً ^(٨) . ويعنى أيضاً بالأخذ عن مدونات من سبقه ، مثل ابن عباس ^(٩) ، كما يعنى بالوثائق المكتوبة ^(١٠) . ويقتبس بعض الأشعار ^(١١) ، ويحاول ترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً ^(١٢) . ويمتاز أيضاً بعنايته بأخبار الحزب الزبيري ، ولعل سبب ذلك

-
- (١) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤١ ، ٨ : ١٠ ، ١١ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، وغيرها .
 (٢) نفس المرجع ٢ : ١ ، ٣ ، ١١ ، وغيرها . (٣) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١ ، ٣ : ١ .
 (٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٦١ . (٥) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٨٣ .
 (٦) أبو الفرج : الأغاني ٣ : ١٦ (٧) الطبري : التاريخ ١ : ٢٥٠ ، ١٨٥ ، ١٤٠ ، ٢٠١ ، وغيرها . (٨) الطبري : التاريخ ١ : ٢٧٥٥ . (٩) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٢١٩ .
 (١٠) البلاذري : فتوح البلدان ٨٠ . (١١) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤١ ، وغيرها .
 (١٢) هو روفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ٧٣ .

أنه يكثير الرواية عن جده لأمه أبي حبيبة مولى الزبير بن العوام^(١) ، كما يروى عن علقمة بن وقاص الليثي الذي يبدو أنه كان في جيش الزبير وطلحة يوم الجمل^(٢) . وهذه فقرة من تاريخه تبين لنا طريقة تفاوله وأسلوبه^(٣) : « موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير قال : « لما قتل الناس عثمان رضى الله عنه وبايعوا علياً ، جاء علي إلى الزبير ، فاستأذن عليه ، فأعلمته به ، فسل السيف ، ووضعته تحت فراشه ، ثم قال : « ائذن له » . فأذنت له ، فدخل فسلم على الزبير ، وهو واقف بنحوه ، ثم خرج . فقال الزبير : « لقد دخل المرء ، ما أقصاه . قم في مقامه فانظر : هل ترى من السيف شيئاً ؟ » فقامت في مقامه ، فرأيت ذباب السيف فأخبرته ، فقال : « ذاك أعجل الرجل » . فلما خرج علي سأله الناس ، فقال : « وجدت أبر بن أخت وأوصله » . فظن الناس خيراً ، فقال علي : « إنه بايعه » . ويظهر لنا في هذه الفقرة نظرة الحزب الزبيرى لمسألة الخلاف بين علي والزبير ، أكثر مما يظهر أى شيء آخر . وهذا ما يلاحظ على موسى في أغلب أخباره ، التي يتتبع فيها أخبار الزبيرين حتى عهد عبد الملك بن مروان .

سليمان بن طرخان

تنتقل الكتابة التاريخية إلى البصرة ليظهر فيها سليمان بن طرخان المتوفى عام ١٤٣ هـ . ولم تذكر المراجع القديمة التي بين أيدينا أنه ألف كتاباً ، وإن كنا نرى اسمه يتكرر في الطبرى . واسكن الأستاذ فون كريمر وجد مخطوطاً يحتوى على مغازى الواقدي التي لا تصل إلا إلى إجلال بن النضير من المدينة . ثم تكمل

(١) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٩٨١ ، ٢٩٩٨ وغيرها .

(٢) نفس المرجع ٣١٠٣ ، ٣١٣٧ . (٣) نفس المرجع ٣٠٧٣ .

بجزء من مغازى أبي المعتمر سليمان بن طرخان التيمى المسماة « السيرة الصحيحة » كما يقول الناسخ^(١) . وتبدأ سيرة سليمان بالكلمة الأولى في السطر ١٩ من الصفحة ٢٦٠ ، وتنتهى في الصفحة ٤٢٧ . فهى تتألف من ٧٧ صفحة من النسخة المطبوعة .

ولا نستطيع من هذا الجزء الباقى من سيرته أن نحكم : هل تناول القاريخ الجاهلى ، وتاريخ النبى فى مكة ، أو اقتصر على المغازى وحدها ، وإن كان الاسم « السيرة » قد يجعلنا نميل إلى الظن بأنه تناول الفترة المسكية من حياة الرسول أيضاً . ولكن الطبرى يذكر له خبرين عن خلق آدم^(٢) ، وعن حرق إبراهيم^(٣) ، ثم لم يذكر له شيئاً فى حياة الرسول ، وإنما يرجع إليه ثانية فى عهد عثمان ، حيث روى بعض ما حدث فى الفتنة . ولا ندرى لهذا سبباً : أكان الطبرى غير واثق بمغازيه ، أم لم تصل إليه ، أم لم يؤلف سليمان مغازى ، وهذه المغازى التى بين أيدينا محمولة عليه .

ويرى قارى « سيرته » أن الأخبار موجزة مضغوطة متسقة منتظمة لا تذكر خلالها الفواصل والزوائد ، كما نرى عند غيره من المؤرخين . فهو لا يذكر الأسانيد ، ولا يعنى بالروايات المتعددة ، وإنما يسير على رواية واحدة لا يتعدها . ويمتاز وصفه بالقوة والحياة ، يشعر القارى أنه مشرف على المعركة يرى الأبطال وإشارتهم مشاعرهم وأفعالهم ، كما يشعر بأن المؤلف لا يكتفى بمجرد الأعمال وإنما يدقق فيها ويبسطها بسطاً صادقاً ، يجعلنا نستطيع أن نميز ما يدور فى خلجات المؤمنين

(١) فون كريم : مغازى الواقدي ٤٣٨ . المقدمة ٣٣ .

(٢) الطبرى : التاريخ ١ : ٩١ . (٣) نفس المرجع ٣٦٦ .

في كل موضع من المواضع . وكثيراً ما تسكون هذه الانفعالات في غير صالح المسلمين ^(١) .

ولكننا نراه يأتى بروايات غريبة في الغزوات الكبيرة المعروفة ، تخالف ما أجمع عليه المؤرخون الآخرون . ولقد ذكر على سبيل المثال ذلك الدور الذي قام به نعيم بن مسعود الأشجعي في غزوة الخندق . فسلیمان يراه من الجواسيس على النبي ، على حين يراه المؤرخون الآخرون من المؤمنين الذين خدموا النبي خدمة عظيمة ، وساعد على تفريق كلمة المشركين واليهود بخداهم . وكذلك يأتى بروايات مخالفة في غزوات بنى قريظة والحديبية وخيبر ومؤتة ووفاة الرسول . أما المؤلفون الآخرون فلا يعنون بذكر رواياته على الرغم من اهتمامهم بسرد غيرها من الروايات الكثيرة . ولا ندري ما سبب هذا الإهمال ، إلا أن هناك ظناً يخامرنا ، وهو أن كثيراً من أخباره كان يصور المسلمين صوراً لا ترضيهم أو لا ترضى بعضهم ^(٢) . ويورد سليمان أخباراً عن العباس لا نجد لها عند غيره من المؤرخين ^(٣) . وهى كلها في جانب العباس ، مما يعزى المرء بالقول إنها من وحى العباسيين . ولكننا - بعد كل ذلك - نحب أن نشير إلى أن سليمان بن طرخان من المشهود لهم بالعدالة والفضل ^(٤) .

ويعنى سليمان بإيراد الآيات القرآنية ^(٥) ، وشرح مناسباتها التاريخية ، والاعتماد عليها ، كما يعنى أيضاً بالشعر ^(٦) . ولكن هذا الشعر قليل متضائل بالنسبة لغيره من الكتاب .

(١) انظر غزوة الخندق وغيرها . (٢) انظر غزوات الخندق وخيبر .
 (٣) ٣٩٦ ، ٤٣٥ . (٤) مقدمة فون كريمر ٦ . وابن حجر: تهذيب التهذيب ،
 (٥) ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، وغيرها (٦) ٣٧٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ وغيرها .

وهذه المغازي لها أهمية فوق كل ذلك ، إذ أنها أقدم كتاب تاريخي يتناول حياة الرسول ، سلم من الضياع ، ووصل إلينا شبه كامل ، فيما عدا الجزء الذي وجدته يكرر من مغازي وهب . وهالك بعض الأمثلة التي تصور لنا طريقة تناوله للتاريخ . يقول في وصفه لموقعة الخندق ^(١) : « فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أتاه المشركون ، فنزلوا به ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، بلغ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كل مبلغ . فحصرهم حصاراً شديداً ارتاب منه المنافقون ، وشكوا في نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وأساءوا اللفظ . فقام رجل من الأنصار يقال له مغيث بن بشير ، فقال : « أوعدنا محمد أن يفتح قصور فارس والروم واليمن ، ولا يتبرز أحدنا إلى الجلاء من رحله ؟ والله لفرور » . وتابعه على ذلك رهط من المنافقين ، فأنزل الله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » . وزعموا أن قبيلتين من الأنصار ، بنى حارثة بن الحارث وبنى سلمة ، هما أن يخلوا مرا كبرهم ، وقالوا : « يابى الله ، إن بيوتنا خلية ، نخاف عليها السرقة » . فلمهم يقول الله تعالى : « يقولون إن بيوتنا عورة ، وما هي بعورة ، إن يريدون إلا فراراً » . وذكر في سورة أخرى : « إذ همّت طئمتان منكم أن تفشلا ، والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » . فقالوا بعد ذلك : « ما نجب أن منهم بالذي هممنا به إذ كان الله ولينا » :

ويظهر أسلوب سليمان في هذه الفقرة سهلاً بسيطاً سريلاً ، حاراً صادقاً موجزاً .

وهذه فقرة مما اقتبسها الطبري من سليمان ^(٢) : « معتمر بن سليمان التيمي

قال ثمال أبي قال ثمال أبو بصرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري ، قال :
 « سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا ، قال : فاستقبلهم وكان في قرية له خارجة
 من المدينة ، أو كما قال ، فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المسكان الذي هو فيه ،
 قال : وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحوه من ذلك ، قال : فأتوه ، فقالوا له :
 « ادع بالمعصم » . قال : فدعا بالمعصم ، قال : فقالوا له : « افتح السابعة »
 قال : وكانوا يسمون سورة يونس السابعة ، قال : فقرأها حتى أتى على هذه الآية
 « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل آله أذن
 لكم أم على الله تفترون » . قال : قالوا له : « قف » . فقالوا له : « أرأيت ما
 حميت من الحمى ، آله أذن لك أم على الله تفتري ؟ » قال : فقال : « امضه ،
 نزلت في كذا وكذا » . قال : وأما الحمى فإن عمر حمى الحمى قبلى لإبل الصدقة ،
 فلما ولدت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد في إبل الصدقة ، امضه . . »

وبلاحظ في هذه الفقرة ، وفي فقرة ثانية في الطبري^(١) تتناول تسكلة الحادثة ،
 الإكثار من اعتراض « قال » في السياق ، مما لا نجد مثله كثيراً عند الطبري ،
 مما يجعلنا نرجح أنه من خصائص كتاب سليمان الذي أخذ عنه الطبري . ولكن
 المغازي التي بين أيدينا ليس فيها هذا الاعتراض الكثير . ونحن لا نستطيع أن
 نعمم هذا الحكم من فقرتين فحسب ، لأن الفقرات الباقية في الطبري من القصر
 بحيث لا تظهر فيها هذه الظاهرة

عوانة بن الحَكَم

من مؤرخى العراق أيضاً أبو الحَكَم عَوَانة بن الحَكَم الضرير الثقة المتوفى عام ١٤٧ هـ أو ١٥٨ هـ ونسب له ابن النديم فى «الفهرست»^(١) كتاب التاريخ و «كتاب سيرة معاوية وبنى أمية» . وقد شك بعض العلماء فى الكتاب الأخير ، ونسبه لنعجب بن الحارث التميمى المتوفى عام ٢٣١ هـ .

وروى عبد الله بن المقرئ عن الحسن بن عليل العنزى أن عوانة كان عثمانياً يضمم الأخبار لبني أمية ، وترجح دائرة المعارف الإسلامية ذلك الرأى^(٢) . ولحسن الهيثم بن عدى يروى خبراً عنه حين قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة ، وكيف أنه ترحم عليه وذكر فضله ، مما يدل على أنه كان يظهر العثمانية تقيّة منه ، وخاصة أنه فى نهاية الخبر السابق يستفسر من الجالسين إذا ما كان أحد عيون الأمويين حاضراً . فإذا تحقق من عدم حضور أحد يمدح محمداً مدحاً رائعاً .

ولا تؤيد الأخبار الباقية لنا منه عند الطبرى^(٣) والبلاذرى^(٤) تلك التهمة ، إذ لا يظهر فيها أى هوى للأمويين . ولعل الطبرى والبلاذرى لم يذكرنا تلك الأخبار التى تظهر فيها عثمانيته وأمويته . ويجب أن نحترس فى هذا الرأى لأننا نجد كثيراً من التهم توجه لعوانة تريد الغرض من قدره ، مثل تلك الأخبار التى

(١) الفهرست ٩١ .

(٢) باقوت : معجم الأدباء ٦ : ٩٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية مادة (عوانة) .

(٣) التاريخ ١ : ١٨٢٧ ، ٢٧٥٥ ، ٣٢٠٤ وغيرها .

(٤) فتوح البلدان ٦٢ ، ٩٤ ، ١٨٢ ، ٢٤٠ ، وغيرها .

تجعله لا يميز بين الشعر والقرآن^(١) ، على الرغم من قولهم إنه كان عالماً بالشعر والفصاحة^(٢) ، وعلى الرغم من القصة السابقة التي يمدح فيها محمد بن عبد الله بالآية «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله » مما يدل على معرفة بالقرآن أيضاً . كل هذه التهم تدلنا على أنه كان كثير الخوصوم ، وإن لم نستطع معرفتهم ، وسبب خصومتهم له ، وإن خامرنا الظن بأن عثمانيته المزعومة ربما كانت سبب هذه المداوة .

ولا تتناول المقتطفات الباقية من تاريخ عوانة شيئاً من حياة الرسول ، وإنما تبدأ ببيعة أبي بكر ، وتصف الردة ، وفتح العراق ، وفتح بلدان فارس المختلفة مثل المدائن وحمولاء ، وهمدان ، ووقعة الجمل ، وحروب علي ومعاوية ، والحسن ومعاوية ، وتاريخ العراق ، وقتل الحسين ، وثورة عبد الله بن الزبير ، وتنتهي الأخبار بخروج ابن الأشعث وقتل ابن القرية^(٣) .

ونرى عوانة في هذه المقتطفات لا يعنى بالأسانيد كثيراً ، ويبحث عن المواد في كل مكان حتى ليأخذها من أقارب المشتركين في الحوادث . ويعنى كذلك بإيراد الأشعار .

وهذه فقرة من أخباره^(٤) : « يحيى بن آدم عن عوانة بن الحكم عن جبرير بن يزيد عن الشعبي قال ، قال عبد الله بن مسعود : « لقد قمنا بعد رسول الله

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٩٤ . (٢) نفس المرجع ٩٥

(٣) انظر فهرست الطبري والبلادري .

(١) البلادري : فتوح البلدان ٩٤ .

صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه ، لولا أن منّ الله علينا بأبي بكر : اجتمع رأينا جميعاً على ألا نقاتل على بنت مخاض وابن لبون ، وأن نأكل قري عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين . وعزم الله لأبي بكر رضى الله عنه على قتالهم ، فوالله ما رضى منهم إلا بالخطبة المخزية أو الحرب المجلية . فأما الخطبة الخزية فإن أقرؤا بأن من قُتل منهم في النار ، وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا ، وأما الحرب المجلية فإن يخرجوا من ديارهم .

وأسلوب عروانة منسب منطلق ، يعنى فى بعض الفقرات بالحوار ، والشعر ، وما يدور بين أبطال الحوادث .

محمد بن إسحاق

أخيراً يظهر محمد بن إسحاق المتوفى عام ١٥٠ هـ تقريباً ، فيؤلف كتاباً يغطى به على جميع هؤلاء المؤرخين المتقدمين ، ويجذب أنظار المتأخرين على الدوام . ويسمى كتاب ابن إسحاق هذا « كتاب المغازى » . ولم يصل إلينا الكتاب بصورته الأصلية ، ولسكن وصل إلينا قسط عظيم منه فى سيرة ابن هشام . ويقال إن مكتبة كوبريلى بالآستانة تحوى على مخطوطة من النسخة الأصلية من الكتاب . ولسكن الأستاذ هوروفتس يرى أننا إذا ما عاينا هذه المخطوطة وفحصناها فحسباً دقيقاً ، وجدناها نسخة من كتاب ابن هشام لا ابن إسحاق ^(١) .

وقيل ^(٢) إن سبب تأليفه المغازى أنه دخل ذات يوم على المنصور وبين يديه ابنه المهدي ، فقال له المنصور : أتعرف هذا يا ابن إسحاق ؟ قال :

(١) المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ٨٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة ١ : ط

« نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين » ، قال : « اذهب فمصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا » . فمصنف ابن إسحاق هذا الكتاب ، فقال له المنصور : « لقد طولته ، يا ابن إسحاق ، اذهب فاختره » . وحفظ المنصور الكتاب الكبير في خزائنه .

ولكن الأستاذ فيك^(١) يرى أن ابن إسحاق لم يؤلف كتابه بأمر من الخليفة ولا في بغداد أو الحيرة ، وإنما في المدينة قبل إقامته لدى العباسيين . ويستدل على ذلك بأن روايته الذين أخذ عنهم جميعاً مدنيون ومصريون ، ولا يذكر أحداً من العراقيين . كما نجد أحد تلاميذ ابن إسحاق المدنين يروي الكتاب ، وذلك هو إبراهيم بن سعد^(٢) المتوفى عام ١٨٤ هـ . بل نرى في الكتاب حوادث ما كان يرضى لذكرها العباسيون مثل تدوينه اشتراك العباس في بدر إلى جانب الكفار ، وأسر المسلمين له^(٣) ، ذلك الخبر الذي حذفه ابن هشام فيما بعد خوفاً من العباسيين وربما أجرى ابن إسحاق بعض التغييرات الإضافية الهلالية في الكتاب إرضاء للخليفة ، مثل رواياته عن مناصرة العباس للإسلام ، أو اعتناقه له سرا^(٤) ، وإن كانت هذه الروايات أيضاً رواها عنه تلميذه المدني إبراهيم بن سعد ، مما يجعلنا نعتقد أنه لم يجرها في العراق المرة الأولى .

وعلى الرغم من عدم وصول النسخة الأصلية من الكتاب إلينا ، وحذف ابن هشام أجزاء كثيرة منه ، نستطيع تكوين صورة قريبة

(١) هوروفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها ٨٠ .

(٢) نفس المرجع . وياقوت : معجم الأديباء ٦ .

(٣) الطبري : التاريخ ١ : ١٣٤١ ، ١٣٤٤ . وابن سعد : الطبقات ٤ : ٧ .

(٤) ابن هشام : السيرة ٣ : ٣٠١ .

من الكمال عنه ، بفضل المقتطفات العديدة عند الطبري والمؤرخين المتأخرين ،
والتي قد تكون محذوفة عند ابن هشام . ويساعدنا على تكوين الصورة تصريح
ابن هشام بما أجراه من تغييرات في الكتاب ، إذ يصدره بقوله ^(١) « وأنا إن
شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ولده ، وأولادهم لأصلابهم ، الأول فالأول ، من إسماعيل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم
من ولد إسماعيل ، على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا
الكتاب ، ولا تفسير له ، ولا شاهدا عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشهارا
ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشتم الحديث به ،
و بعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومستقص
إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به » . وكان ابن هشام
دقيقا في تصريحه بكل ما يفعله من زيادة أو حذف على الدوام . وفيما عدا هذه
التغييرات لا يجري أي عمل من عنده في النص الأصلي .

ويظن أن الكتاب كان في أصله مقسما إلى ثلاثة أجزاء : المبتدأ ، والمبحث ،
والمغازي . أما المبتدأ فيتناول التاريخ الجاهلي . وقد خص ابن هشام هذا الجزء
بالحذف أكثر من غيره ، ولكن الطبري حفظ جزءا كبيرا منه في تاريخه وتفسيره
وخاصة ما يتعلق بالأنبياء منه ، كما حفظ الأزرق أخبارا كثيرة تتناول تاريخ مكة
القديم ، ووعى كتاب عبيد بن شربة بعض أخباره كما ذكرنا من قبل .

وينقسم هذا الجزء إلى أربعة فصول : يتناول أولها تاريخ الرسالات السابقة على الإسلام منذ خلق العالم حتى ظهور عيسى . ويرجع ابن إسحاق في هذا الفصل إلى وهب بن منبه ، وابن عباس ، وأهل الكتاب ، بل التوراة ذاتها ، إلى جانب رجوعه إلى القرآن . ويورد فيه أخبار أهل الكتاب ، والقبائل العربية التي ذكرها القرآن مثل عاد وثمود ، بل التي لم يذكرها القرآن مثل طسم وجديس . ويتناول الفصل الثاني تاريخ اليمن في العصور الجاهلية . وسبب عنايته بهذا التاريخ وجود الإشارات العديدة في القرآن إليهم ، مثل إشاراته إلى أهل الأخدود ، وأصحاب الفيل . وقد وعى ابن هشام والطبري جزءاً كبيراً من هذا الفصل . وأما الفصل الثالث فيتناول القبائل العربية وعبادة الأصنام . ويتناول الرابع أجداد النبي المباشرين وديانة أهل مكة . ولا يعني ابن إسحاق في هذا الجزء بالأسانيد إلا نادراً ، وأغلبها في الفصل الأول .

أما المبحث فيشمع حياة النبي في مكة ، والهجرة ، وربما العام الأول من نشاطه في المدينة . ونراه في هذا الجزء يصدر الأخبار الفردية بموجز حاولها ، ويدون مجموعات كاملة من القوائم : فقائمة بمن أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر^(١) ، وأخرى بالمهاجرين إلى أرض الحبشة^(٢) ، وثالثة بمن عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة^(٣) ، وأخرى وأخرى مما يطول حصره . ويوجد في هذا الجزء وثيقة انفرد بها ابن إسحاق من بين المؤرخين الآخرين ، وهي معاهدة النبي الأولى^(٤) ، التي كتبها لينظم التعاون بين المهاجرين والأنصار واليهود ، بعد هجرته

(١) ابن هشام : السيرة ١ : ٢٦٧ . (٢) نفس المرجع ٤ : ٣٤٤ .

(٣) نفس المرجع ٣ : ٣ . (٤) نفس المرجع ٧ : ١٤٧ .

إلى المدينة مباشرة . ويعنى ابن إسحاق في هذا الجزء بالترتيب الزمني للحوادث ، كما تزداد عنايته بالأسانيد التي يرجع معظمها إلى شيوخه المدنيين .
وأخيراً المغازي ، وهي تتناول حياة النبي في المدينة منذ أول سهم أطلق في الحرب إلى وفاته صلى الله عليه وسلم . وتتلأ الغزوات الحربية هذا الجزء ، فلا يستطيع المؤلف أن يفصل الكلام إلا عن مرض النبي الأخير ووفاته . ويسير ابن إسحاق في هذا الجزء على خطة رسمها لنفسه ولم يتجاوزها ، إذ يبدأ الخبر بملخص حاو لحتوياته ، ثم يتبعه بخبر من جميع الأقوال التي أخذها من رواته ، وفي النهاية يكمل بما جمعه هو نفسه من المصادر المختلفة . وتكثر القوائم أيضاً ، عن حضر بدرأ من المسلمين ، ومن استشهد من المسلمين يوم بدر ، ومن قتل ببدر من المشركين ، وما مائل ذلك في الغزوات المختلفة . ويلتزم ابن إسحاق هنا بإيراد الأسانيد ، وجميع رواته من المدينة ، وأهمهم الزهري وعاصم بن عمر وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم ، الذين أمدوه بما ساعده في ترتيبه الزمني للحوادث . وقد زاد ابن إسحاق المادة التي أخذها منهم بما جمعه بنفسه من غيرهم من الرواة ، ومن أقارب المشتركين في الحوادث المؤرخة .

وقد لقيت هذه السيرة منذ ظهورها عناية كبيرة ، فرواها خمسة عشر تلميذاً لابن إسحاق كما يقول فيك^(١) . أما ابن هشام فسكان يرجع إلى رواية البكائي ، وأما الطبري فكان يرجع في الغالب إلى رواية سلمة بن الفضل المتوفى عام ١٩١ هـ ، وأما ابن الأثير في «أسد الغابة» وابن حجر في «الإصابة» فكانا يرجعان إلى رواية يونس بن بكير المتوفى^(٢) عام ١٩٩ هـ . ثم كان الناس إلى اليوم يرجعون إليها في نسخة ابن هشام بعد ظهور هذه .

(١) هوروفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها ٨٧ . (٢) نفس الموضع .

ونرى ابن إسحاق يرجع في سيرته إلى العلماء من غير المسامين في أخباره عن الحوادث اليهودية والمسيحية والفارسية . ولذلك نراه يذكر بين رواته « بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول ^(١) » أو « أهل التوراة » ^(٢) أو « من يسوق الأحاديث عن الأعاجم » ^(٣) . ويعد هذا تحولا خطيرا من مدرسة المدينة التي لم تسكن تقبل مثل هذه الأخبار ، ولا مثل هؤلاء الرواة . فابن إسحاق أول من اقترب بمدرسة المدينة إلى مدرسة اليم في قبول هذه الأخبار ، حتى إنا نراه يأخذ بعض الأخبار عن وهب بن منبه . بل يذهب ابن إسحاق إلى أبعد من ذلك ، فيعطينا فقرات من العهدين القديم والجديد مترجمة ترجمة حرفية ^(٤) .

وعنى ابن إسحاق بالرجوع إلى الوثائق والمدونات ، كما حاول أن يذكر الأسانيد ، ولكن مادته السكثيرة المتنوعة اضطرتته إلى توسيع دائرة رواته ، وقبول بعض الأحاديث غير المرضية والإخلال بنظام الأسانيد ، مما أزعج مدرسة الحديث وهالها ، فكالت له التهم ، وسحبت منه ثقتها ^(٥) .

وينفرد ابن إسحاق عن باقي المؤرخين في كثرة الأشعار التي أدخلها في كتابه كثيرة أفزعت معاصريه ومن بعدهم . إذ لم يكن يتحقق من صحة الشعر بل يدخل ما يحمله إليه دون تحقيق . ولذلك نجد عنده أشعارا منتحلة ظاهرا انتحالها ، مثل تلك التي قيلت في عهد عاد وثمود ^(٦) . ولكن بعض العلماء ^(٧) اعتذر عنه بأنه اقتبس هذه الأشعار لتزيين تاريخه لا لصحتها عنده ، فهو ما كان يتمسك بأنها صحيحة

(١) الطبري : التاريخ ١ : ١٤٠ (٢) الطبري : التاريخ ١ : ٤١٣ ، ٤١٤

(٣) ابن هشام : السيرة ١ : ٣٢٨ .

(٤) هوروفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها ٨٩ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ٦٠٩ : ٣٩٩ . (٦) الطبري : التاريخ ١ : ٣٣٩ وما بعدها .

(٧) هوروفتس : كتب المغازي الأولى ومؤلفوها ٩١ .

لو أثبت له غير ذلك ، وكل ما في الأمر أن من الكتابة التاريخية كان اعتاد إدخال
الشعر التحلية منذ الجاهلية . كما أنه اعتذر عن نفسه بأنه ليس عالما بالشعر وأنه يدون
ما يُخَمَل إليه ^(١)

وكان ابن إسحاق غاية في النزاهة في تاريخه ، يدون آراء المذاهب المتعددة
بكل أمانة وبدون تمييز ، حتى لقد روى أشعار المشركين في هجاء الرسول صلى الله
عليه وسلم وأصحابه ^(٢) ، وحتى اضطر ابن هشام أن يهلف من حدة بعض عبارات
هذه الأشعار أو أن يحذفها ^(٣) .

ويمتاز ابن إسحاق بأنه لم يكن أول من عرض ثمرات حياة الرسول بالتساق
في كتابه فحسب ، بل وضع أفق هذه السيرة ، فجعلها تاريخا للرسالة الإلهية عامة ،
فأدخل فيها تاريخ الأنبياء المتقدمين . ويتمحلي كذلك بتلك الخصائص التي تحلي
بها أستاذ الزهري من قبل ، وأعني بها العناية بربط الأحاديث بموجز يربط بينها
ويحوى ما تشمل من أخبار ، والعناية بتأليف خبر عام موحد من الروايات
المتنوعة . وهو يطيننا في بعض الأحيان تعليقات على الحوادث برأيه . ويظهر ابن
إسحاق في سيرته كاتبا ساحرا ، يعرف كيف يجمع مادته بطريقة تجذب انتباه
القارئ على الدوام ، ويصور لنا الشخصيات التي يصفها بحيث تبرز أمامنا كأننا
نراها رأي العين . ومهما اختلفت وجهات النظر في سيرته ، فإنها تقف فوق
مستوى سام جدا ، بل تزداد قيمتها حين نعرف أنها من أقدم المکتب العربية
النثرية التي وصلت إلينا .

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ج .

(٢) انظر شعر ابن الزبير في بدر وأحد في السيرة .

(٣) ابن هشام : السيرة ٣ : ١١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٣ وغيرها

و يبدو أن ابن إسحاق لم يكتف بتاريخه الجاهلي والنبوي ، بل أراد أن يكل التاريخ الإسلامي أيضا ، فألف « كتاب الخلفاء »^(١) . ولكن هذا الكتاب فقد ، ولم يصل إلينا منه غير فقرات عند الطبري ، تدون حوادث وقعت في عهد الخلفاء الراشدين ، وعثمان خاصة ، بل بعض حوادث العهد الأموي أيضا^(٢) . ومع ذلك ليست هذه الفقرات كافية لأن تعطينا صورة واضحة نحكم بها على الكتاب .

وهذه فقرة من معاريفه في غزوة مؤتة^(٣) : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » .

« فتجهز الناس ثم تهيئوا المخرج ، وهم ثلاثة آلاف . فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ، فقالوا : « ما يبكيك يا ابن رواحة » ؟ فقال : « أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم . ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار « وإن منكم إلا واردةا كان على ربك حتما مقضيا » فليست أدري كيف لي بالصدر

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٢ وياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٤٠١ .

(٢) الطبري : التاريخ ١ : ١٨٢٣ وما بعدها . والبلاذري : فتوح البلدان ٢٧٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٧ ، وغيرها .

(٣) ابن هشام : السيرة ٤ : ١٥ .

بعد الورود». فقال المسلمون : « صاحبكم الله، ودفع عنكم، وردكم إلىنا صالحين »
فقال ابن رواحة :

لكنني أسألُ الرحمنَ مغفرةً	وضربةً ذاتِ فرغٍ تقذفُ الزُّبدا
أو طعنةً بيدى حرّانٍ مُجهِزةً	بحربةٍ تنفذُ الأحشاءَ والسكِّبدا
حتى يُقالَ إذا مرُّوا على جدّتي	أُرشدَهُ اللهُ من غاري وقد رَشَّدا

الفصل الثالث

مظاهر الكتابة التاريخية

رأينا أن الكتابة التاريخية العربية نشأت من تيارين مختلفين :

(١) تيار قديم يتألف من القصص الخيالية والأساطير الشعبية المأثورة عن قدماء العرب ، التي كان يرويها القصاص المتنقلون عن العرب الشماليين وأنسابهم وأيامهم ، وعن ملوك العرب الجنوبيين وفتوحاتهم . وهي قصص خلتها وسادها الخيال المبالغ ، تسكر بها الأشعار ، التي كانت في بعض الأحيان ، وخاصة في الأيام ، المحور الذي تدور عليه القصة النثرية ، حتى إنه عندما نسيت تلك الأشعار ، اندثرت تلك القصص ، فاضطر القصاص إلى استحداث أشعار جديدة وإحاطتها بقصص مبتكرة عن هذه الأيام . ولا تعتمد هذه القصص على توقيت تاريخي لحواشيها ، بل تتناول الأحداث الهامة ، والحروب خاصة ، دون ربط بينها ، ودون أن تنظم البحث في الجري التاريخي العام . ويتمثل هذا التيار الخيالي في العهد الإسلامي في عبيد بن شربة ووهب بن منبه .

(٢) والتيار الثاني جديد استحدثه الإسلام ، وهو تيار السيرة ، الذي يتسكون من أخبار علمية دقيقة مضبوطة ، متفرعة من علم الحديث ، ولذلك نالها ما ناله من نقد وتمحيص . وكانت هذه السيرة تتألف من القصص الصحيحة والخيالية التي أحاطت بشخص الرسول بسبب إجلال المسلمين له . وأخذ المؤرخون يجمعون هذه القصص ويروونها ، ويربطون بينها ، مستعينين بالآيات القرآنية . وقد لعب التيار الأول ، وخاصة فرع الأيام منه ، دورا في هذا التيار ، وخاصة

في الفترة الدنية من حياة الرسول ، التي تغطي الفترات ، ويظهر هذا الدور في طريقة
تداولهم لهذه الفترات ، فإنها تشبه طريقة تناول الفصايل القدماء لأيام الجاهليين
بل لعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمثل في السير دور البطل في قصص الأيام
الجاهلية . ونذكر إلى جانب هذا كله آثارا يهودية ومسيحية ، بل آثارا فارسية
سبئية ، وجدت أيضا في هذه السير . وتظهر هذه الآثار جميعها عند وهب بن منبه
الذي تعتبر كتابته روايات تاريخية لا كتبها تاريخية . ولكن تيار السيرة كان له
صبغة علمية دقيقة في المدينة أكثر منها في أي موطن آخر ، لارتباط المؤرخين
فيها بالأحداث الصحيحة أكثر من المؤرخين الآخرين ، ويظهر هذا التيار
العلمي الدقيق عند أبان وعروة .

وهكذا نرى أن الكتابة التاريخية نشأت نشأة عربية خالصة ، لا يد فيها
للغرس أو اليونان فهذه الكتابة بجميع صورها استمرار لما كان يوجد في الجاهلية
أو تفرع لعلم الحديث العربي الخالص . وكان أوائل المؤرخين عربا ، سواء كانوا من
الجنوب مثل عبيدو وهب ، أو من الشمال كأبان وعروة . ولكن هذه الحركة العربية
مالبت أن تأثرت بمؤثرات خارجية من أهل الكتاب والفرس ، بل صار جميع
المؤرخين من الموالي في أواخر القرن الثاني من الهجرة . وإذن فالتاريخ الإسلامي
يخالف كثيرا من العلوم الإسلامية الأخرى في نشأته العربية الخالصة ، ولكن
لا يلبث أن يقع في أيدي الموالي مثل جميع العلوم الإسلامية الأخرى .

وأخذت هذه التيارات التاريخية المختلفة في التطور ، فوجد التاريخ القبلي
الجاهلي أو الأيام والأنساب يعني بها في العراق خاصة ، ويدخلها علماء اللغة في
في نطاق أبحاثهم ، إذ أنها تعينهم على فهم الأشعار التي يريدون جمعها وشرحها .
ويتمثل لنا جهد اللغويين في هذه الفاحية في نقائض أبي عبيدة المتوفى عام ٢٠٩ هـ

التي يروى فيها أخبار الأيام ، ويطيل في ذلك . أما العناية بالأنساب فتتمثل في محمد ابن السائب الكلبي المتوفى عام ١٤٦ هـ ، وغيره من النسابين .
ونجد القصص الخرافية الشعبية تستمر في الوجود ، فيظهر عبيد بن شربة الذي يعنى بتاريخ القبائل البائدة من العرب ، ووهب بن منبه الذي يعنى بتاريخ اليمن وأهل الكتاب ، ويسير على النمط الجاهلي المأثور في القصص الشعبية الخرافية المغرقة في الخيال .

وأما تاريخ السير والمغازي المولود في المدينة ، والمتفرع من علم الحديث فقد تأثر منذ بادى الأمر بذلك العلم ، فظهر الإسناد عند أول كاتبين فيه ، وهما أبان وعروة ، وإن لم يصر ضربة لازم بل كانا يتجاهلانه كثيراً . وأخذت السير والمغازي تتطور سريعاً ، فوجد الزهري يخطو بالتاريخ خطوة بارعة إلى الأمام ، إذ يحاول الربط بين الأحاديث ، بل يحاول تأليف خبر واحد من الأحاديث المختلفة بعد إدماجها ، كما يحاول ألا يجعل من التاريخ وقفاً على فئة معينة من الناس ، وإنما ينشره للجمهور كله . هذا إلى جانب عنايته بالأنساب ، وخاصة أنساب قومه . ويشرع مؤرخو المدينة في الالتفات إلى ميادين تاريخية أخرى على يد عروة وموسى بن عقبة ، إذ يمدان البحث فيشمل تاريخ الخلفاء الراشدين ، ثم الأمويين وكان ذلك الامتداد من تأثير السيرة أيضاً .

ويتوج هذا التطور بمحمد بن إسحاق المؤرخ الحقيقي ، الذي يمثل نهاية تطور السيرة ذات النموذج الديني عند المحدثين ، وذات النموذج الملحمي عند القصاص الشعبيين ، والذي يمد بحثه إلى آفاق بعيدة لم يرها المدنيون من قبل ، وأعنى بها تاريخ الجاهلية ، وتاريخ النبوات قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، وتاريخ الخلفاء بعد محمد . فمحمد بن إسحاق هو المؤرخ الذي تتمثل فيه كل التيارات التاريخية الموجودة في عصره .

وتمتاز الحركة التاريخية العربية بمدة ظواهر ، نحاول أن نسجل بعضها هنا غير ما ناقشناه من قبل . وأول هذه الظواهر أن المؤرخين لم يكونوا موظفين حكوميين ، وإنما كانوا أناسا عُنىوا بالتاريخ مجرد الرغبة الشخصية ، وحباً في ذلك العلم . ولذلك نجدهم يؤلفون ما يحلو لهم من كتب ، وعما يحلو لهم من حوادث ، دون أن تصدر إليهم الأوامر بتناول أمر من الأمور ، وترك آخر ، إلا في أحوال نادرة ، كان يلمس الحكام فيها من المؤرخ معالجة بعض الأمور التي تلهيهم . وضمن لهم ذلك حرية الأداء ، وصدق التناول ، والنزاهة في معالجة الأحداث ، وخاصة أن أكثر هؤلاء المؤرخين كانوا رجال فقه وحديث .

وهاك مثالا يبين مقدار استقلال هؤلاء المؤرخين ، وشجاعتهم في الثبات على آرائهم ، وعلى ما يمتدونه صدقا . روى الشافعي عن عمه قال ^(١) : « دخل سليمان بن يسار على هشام [بن عبد الملك] فقال : « من الذي تولى كبره منهم ؟ » [يشير إلى الآية في حديث الإفك] قال : « عبد الله بن أبي بن سلول » . فقال : « كذبت ، هو على . يا ابن شهاب ، من هو ؟ » قال : « عبد الله بن أبي » . فقال : « كذبت ، هو على » . قال : « أنا أكذب ، لا أبالك ، فوالله لو ناداني مناد من السماء : إن الله أحل الكذب ، ما كذبت . حدثني سعيد بن المسيب ، وعروة ، وعبيد الله ، وعلقمة بن وقاص ، عن عائشة : « إن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي » . قال : فلم يزل القوم يغرون به ، فقال له هشام : « ارحل ، فوالله ما ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك » . قال : « ولم ، أنا اغتصبتك على نفسي وأنت اغتصبتني ؟ فحل عني » . قال : « لا ، ولكنك استدنت ألف ألف » . فقال : « قد علمت ، وأبوك قبلك ، أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك . . . »

(١) الذهبي : تراجم رجال روى محمد بن إسحاق عنهم ٧٢ .

وكان هؤلاء المؤرخون علماء يدرسون تلاميذ من الشعب ، ويؤلفون كتبهم
لهؤلاء التلاميذ ، ولشعب أيضاً ، غير مهتمين على الخلق في الغالب ، إلا عند الشدائد .
والظاهرة الأخرى هي صحة الأخبار المروية عن الحوادث الإسلامية خاصة .
وقد اتهم هذه الصحة من الطريقة التي عالجوا بها هذه الأخبار . فهم لم يأخذوا
إلا عن المذول الثقات ، واتبعوا في ذلك ما اتبعه علماء الحديث في تقدمهم ، فصلت
لهم مجموعة كبيرة من الحوادث . وأنت هذه الصحة أيضاً من ابتكارهم التوقيت
الكامل ، حتى كانوا يوقتون الحوادث بالأيام والشهور والأعوام . وذلك مما
يدعو إلى التدقيق في الأخبار وصحتها . حقا ، أن هذا التوقيت بدأ ضعيفا مضطربا
ولكن الروايات المختلفة من المصادر المتباينة جعلتهم يطعنون إلى بعض التواريخ
ويستطيعون أن يتحققوا من صحتها .

ولكن هذه الروايات الكثيرة التي كانت تعتمد غالبا على الذاكرة سببت
بعض وجوه النقص والفوضى . فإن النسيان اعتدى بعض هؤلاء المؤرخين ،
فجعل بعض رواياتهم مضطرب ، ويسوده الفوضى . ولكن على الرغم من هذا
يجب أن نقول إن تلك الظاهرة كانت نادرة ، وكان المؤرخون يكتشفونها سريعا
بفضل الروايات الأخرى الآتية عن مصادر مخالفة للأولى .

وأدت العناية بالروايات المختلفة والأسانيد المتنوعة إلى التكرار إلى درجة
الإملال ، فالحدث الواحد يوصف عدة مرات ، دون أية زيادة أو تفصيل ، على
حسب الأسانيد المختلفة التي روتها . ولكن هذه الظاهرة — فيما يبدو — كانت
سائدة في الكتب الكبيرة وحدها . أما الرسائل الصغيرة فقد نجت من هذه
الظاهرة ، كما يبدو من سيرة سليمان بن طرخان .

وجعلهم تأثرهم بالأحداث يصوبون كل تقدم على الأسانيد دون النصوص ،

مما يسر الانتحال والاختراع . فإن الإسناد يمكن اختراعه بسهولة . وهكذا يمكن القول بدخول بعض الموضوعات في الميدان التاريخي ، وإن كانت هذه الظاهرة يجب النظر إليها على أنها ضعيفة نادرة بسبب تقدم الشديد الرجال . ولكن لم يكن هذا النقد ذا فائدة كبيرة في ميدان التاريخ القبلي والقصصى والإسرائيليات . وآخر الأمر نجد التاريخ الإسلامي بجميع صوره يسير على النمط المعروف عن الرواة الجاهليين ، من سوق القصة التاريخية ، وتقطيعها بالأشعار التي قد تشرح شيئاً من الحوادث أو تعلق عليها ، أو لا تتصل بها إلا اتصالاً طفيفاً ، وكذلك يعفون بسرد الرسائل والوثائق منذ أوائل عهدهم بالتاريخ .

وإذا ما أحيينا أن نتكلم عن أسلوب الكتب عامة ، وجدناه عربياً سهلاً بسيطاً مبيناً ، ونجد تصوير الحوادث فيه وضوح وقوة وحياة ، حتى يشعر المرء بالحوادث تقع أمامه ، لولا تقطع القصة بالأشعار والتكرار . ونختم كلامنا عن الكتابة التاريخية بذكر المدارس التاريخية ، التي ربما شعر بها القارئ من قبل . فإننا عند تدقيق النظر في تطور الحركة التاريخية نجد أن هناك ثلاث مدارس واضحة كل الوضوح .

المدرسة الأولى في الظهور هي المدرسة اليمنية التي يمثلها عبيد بن شربة ، ووهب بن منبه . وهي المدرسة التي تظهر فيها الكتابة التاريخية العربية للمرة الأولى . وهي تعنى بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ اليمن ، وتسرد التاريخ قصصاً خيالية وأساطير شعبية . فهي تمثل استمرار التيار الجاهلي أصدق تمثيل ، ولذلك نستطيع أن نطلق على مؤرخيها اسم القصاص الشعبيين ، أو الأخباريين ، وعلى كتاباتهم اسم الروايات التاريخية .

والمدرسة الثانية مدرسة المدينة ، وهي تتألف من الفقهاء والمحدثين من أمثال

أبان وعروة والزهرى وهى مدرسة التاريخ العلمى الدقيق الذى يعنى بالسيرة والمغازى ويسير على خطا علم الحديث ، ويعنى بالأسانيد . وتتطور مادة هذه المدرسة ، فتتسع وتشمل تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين .

وأما المدرسة الثالثة والأخير فى الوجود فمدرسة العراق ، يمثلها عوانة وأبو مخنف والسكبي وغيرهم . وهذه المدرسة واسعة الصدر تعنى بكل تيارات التاريخ الجاهلى والإسلامى . وتعطى عناية خاصة لتاريخ الخلفاء ، وكان من أثر عنايتهم تلك أن احتل العراق المركز الأول فى هذه التواريخ . لذلك نجد تاريخ العراق وأحداثه مفصلة مطولة لدينا ، بينما الأمصار الأخرى ، لاتنال غير الإشارات .

ثم نجد هذه المدارس الثلاث تلتقى فتخرج لنا محمد بن إسحاق . فيتناول هذا المؤرخ تاريخ اليمن وأهل الكتاب مثل اليمنيين ، ويتناول السيرة مثل المدنيين ، وتاريخ الخلفاء مثل العراقيين . بل نجد عنده خصائص المدارس الثلاث ، من قصص شعبية ، وأسانيد ، وأشعار لتحلية القصص ، ومن أخبار أهل الكتاب ، وباختصار جميع ما فى المدارس يوجد عند محمد بن إسحاق .

خاتمة

هذه هي الكتابة العربية في نشأتها ، قد عرضتها في مراحلها المختلفة عرضاً شاملاً ، مدققاً ، يحاول أن ينفذ إلى الأعماق ، ويستكشف في الظلمات ، ما يستهدى به إلى السبيل السوي .

أولاً وقد رأينا العصر الجاهلي لا يعرف من الكتابة غير بعض المعاهدات والأحلاف وبعض العقود التجارية ، وما إلى ذلك مما يمكن تسميته بالكتابات السياسية والاقتصادية . أما الكتابة الفنية فلم يعرفها ذلك العصر ، ولم تصل إلينا منه أية شواهد كتابية فنية .

وعندما جاء الإسلام انتشرت الكتابة انتشاراً كبيراً ، وظهرت الرسائل المتبادلة بين النبي والرؤساء ، وبين الخلفاء والولاة ، بل ظهرت أنواع كثيرة من الكتابات السياسية ، والكتابات الدينية ، والكتابات الإخوانية . ولكنها كانت كتابة صريحة بسيطة لا ترمي إلا إلى مجرد الأفهام ، دون محاولة للتزين أو التجميل ، وإن كانت في أواخر الصدر الأول من الإسلام ظهرت عليها بعض المظاهر التي تنبئ عما يفتنظرها في العصر القادم من عمل وفن .

ومنذ أوائل العصر الأموي ظهر كتاب محترفون ، وظهر ديوان الرسائل . فحرفت الرسائل الفن ، وتنافس الكتاب في إظهار البراعة والفصاحة ، ليكسبوا رضى الخلفاء وعطفهم . فظهرت أمامنا عدة ظواهر تدل على تطور الكتابة وترقيتها فهذا كاتب يطيل ، وذلك يكثر من الغريب ، وثالث يستعمل السجع ، ورابع ينتقى ألفاظه ويهذب صيغتها ، إلى غير ذلك .

وأخيراً تظهر حلقة من الكتاب في بلاط هشام بن عبد الملك يتزعمهم سالم

مولاه ، فتأخذ من الثقافات اليونانية والفارسية ما تجمل به أفكارها وأساليبها .
وتتمثل هذه المدرسة بأجلى مظاهرها ، وأوضح خواصها ، في عبد الحميد الكاتب ،
الذي كان يمثل أيضاً تطور الخصائص الكتابية منذ البداية إلى النهاية . فمبداء الحميد
إذن العلم البارز في الصدر الأول من تاريخ الكتابة العربية الفنية ، وهو الذي
اطلع على كتابات من سبقه ، وتشبع بها ، وهضمها ، وأخرجها خصائص يتحلى بها
وكان لم يتحلل بها أحد قبله . ولكن عبد الحميد — كما رأينا — لم يكن متبعاً
فحسب ، بل كان مبتدعاً أيضاً ، مبتدعاً في أسلوبه الذي لم يرتفع إليه أحد قبله ،
ومبتدعاً في أفكاره التي استخلصها من المصادر الثقافية المختلفة في الشرق العربي
في ذلك العصر . فكان العلم البارز من بين سابقيه ، والمنار الهادي للاحققيه ، ينظر
إليه كل من أراد الجمال والفصاحة في كتابته .

وصفوة القول أن كتابة الرسائل بجميع أنواعها نشأت في عصر مبكر ، بدافع
من الظروف والعوامل التي كانت تحرك الجماعة العربية في عصرها ذلك . فهي ثمرة
النورة التي قام بها الإسلام ، وأخضع العرب لها ، وأمدتهم بأسسها التي يقيمون
عليها حياتهم الجديدة . وإذن فكتابة الرسائل الفنية العربية كانت ظاهرة حتمية
لم يتجنبها العرب ، وما كانوا مستطيعين أن يتجنبوها ، بعد أن دفعهم القرآن تلك
الدفعة ، التي ذهبت بنظمهم الجاهلية السياسية أدراج الرياح ، وأقامت نظاماً أخرى
سامية الذرى ، شاحخة البنيان . فالعرب ما كانوا يستطيعون بعد انتشار الإسلام أن
يرجعوا إلى جزيرتهم ، وأن يرجعوا إلى نظمهم القبلية في الحياة الاجتماعية والسياسية .
وكذلك ما كانوا قادرين على الرجوع إلى الشعر والخطابة وحدهما في حياتهم
الأدبية . وإذن نمود إلى القول بأن الكتابة الفنية العربية وليدة الثورة التي قام
بها محمد عليه الصلاة والسلام ، فميراث من تاريخ العرب كل تغيير ، وحولت

أنظار العالم القرون الطوال إلى تلك الأصقاع الإسلامية ، التي سترى من الحضارة والرقى ما لم يره كثير من شعوب العالم المتمدنين .

ونحن نرفض القول بأجنبية كتابة الرسائل الفنية كل رفض ، فهي ليست مما أدخله الفرس أو اليونان على العرب ، وليست مما أدخله غير الفرس واليونان ، وإنما ظاهرة عربية خالصة ، لا يد في نشأتها لأحد غير العرب الذين فتح الإسلام أبصارهم وأفهامهم ، وأمدهم بالروح الذى سيبلى بهم إلى ابتكار ما لم يعرفوا ، وإلى الاتصال بما لم يتصلوا به من قبل ، وإلى الشنف الشديد ، والحماس المفرط ، بالعلم والمعرفة . ولكن رفضنا هذا لا يشتط إلى درجة رفض كل تأثير أجنبي ، بل نحن نقبل هذا التأثير ، ونقول بوجوده ، وربما بقوته . فهو لاء الموالى سرعان ما ينافسون العرب فى هذا الميدان ، منافستهم لهم فى الميادين الأخرى ، وسرعان ما يزاحونهم على مورد الكتابة الفنية ، ولقد اغتصبوه أخيراً . فكان عبد الحميد وأستاذه بشرى الموالى بما سيكون لهم من مكانة فى هذا الميدان فى مستقبل الزمان .

وإذا كنا نرفض القول بأجنبية كتابة الرسائل الفنية ، فإنما أشد رفضاً للقول بأجنبية الكتابة التاريخية العربية . فقد ظهرت هذه الكتابة من العناية بالأحاديث الشريفة وجمعها . فعلم التاريخ العربى الإسلامى ولید علم الحديث الإسلامى العربى المحض .

أما ما كان فى الجاهلية فأقاصيص خرافية وأساطير شعبية عن الأيام والملوك العرب والفرس ، وربما الرومان . أما نشأة كتابة التاريخ المنظمة الدقيقة فكانت على يد العرب من المسلمين بدافع من العناية بجمع الأحاديث . وكانت هذه الكتابة سريعة التطور ، من مجرد جمع لأحاديث دون رابط بينها ، إلى تدوين لتاريخ الأنبياء ، وتاريخ العرب الجاهليين والإسلاميين على يد ابن إسحاق ، فى مدى قرن من الزمان تقريباً .

وقد رأينا عند العرب ثلاث مدارس تاريخية ، كلها عربي النشأة ، وكلها يستمد تقاليده مما كان شائعاً عند العرب في الجاهلية ، ومما استحدثه الإسلام . وقد نقول إن الموالى زاحوا العرب في هذه الكتابة أيضاً ، ولكننا نقول ذلك على أنهم تناولوا هذه الكتابة بعد أن أعطاهم العرب الصورة التي ستبقى عليها في يد هؤلاء الموالى ، وإن يدخلوا عليها غير قليل من التعديل ، وإن أدخلوا في الأخبار نفسها كثيراً مما جلبوه من بلادهم وثقافتهم .

وإذن نستطيع أن نصرح ، ونحن على أهبة وضع القلم ، بأن الكتابة الفنية العربية ، بجميع صورها من رسائل سياسية ، ودينية ، وإخوانية ، ومن كتابة تاريخية ، عربية النشأة ، لم تأت عنهم عن فرس أو يونان أو هندود ، وإنما نشأت على أيديهم وفي بلادهم ، وبدافع من حاجتهم إليها ، ووحى مما خلقه الإسلام من تيارات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تسيطر على الجماعة العربية . ولكنهما كادت تسير قليلاً حتى أمدتها الروافد من كل جانب ، روافد هندية وفارسية من الشرق ، وروافد هلمينية من الشمال والغرب ، والشرق أيضاً ، وروافد أخرى ضمنية الأثر . وقد لا تظهر هذه الروافد في عصرنا هذا ، ولكن ستظهر وتؤتي ثمارها في العصور القادمة .

المراجع

- ١ — أوليري ، بلاد العرب قبل الإسلام ، طبع ١٩٢٧ .
Oleary: Arabia before Muhammad.
- ٢ — الدكتور أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ١٩٢٨ .
- ٣ — البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق دي غويه .
- ٤ — ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا بالاشتراك .
- ٥ — الأستاذ خليل يحيى نامى ، أصل الخط العربى وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام ، طبع ١٩٣٥ .
- ٦ — الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا بالاشتراك .
- ٧ — السيد عبد الحى بن عبد الكبير الحسنى الكتانى الإدريسي الفاسى ، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التى كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية فى المدينة المنورة ، طبع رباط .
- ٨ — الدكتور زكى مبارك ، النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ، طبع دار الكتب المصرية .
- ٩ — مرسية ، المجلة الإفريقية ، العددان ٣٣٠ ، ٣٣١ ، عام ١٩٢٧ .
Marcais: Revue Africaine , Nos 330, 331 (1er 2 me Trimestre, 1927)
- ١٠ — الدكتور طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، الطبعة الأولى .
- ١١ — الطبرى ، التاريخ ، طبع أوربا .

- ١٢ — ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، طبع أوربا .
- ١٣ — الأزرقى ، أخبار مكة ، المطبعة المأجدية .
- ١٤ — ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، طبع الهند .
- ١٥ — الدكتور شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، عام ١٩٤٦ .
- ١٦ — ابن النديم ، الفهرست ، طبع أوربا .
- ١٧ — ابن سعد ، الطبقات الكبير ، طبع أوربا .
- ١٨ — هوروفتس ، المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف ، طبع الحلبي .
- ١٩ — الحيد رأبادى ، مجموعة الوثائق السياسية في عهد النبوة ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ٢٠ — اشيرير : كتب محمد إلى القبائل العربية. Dr. Sperber: Die Schriben Muhammads an die Stämme Arabiens-Mitteilungen des Seminars für Sprachen.
- ٢١ — أنيس المقدسى ، تطور الأساليب النثرية ، طبع بيروت .
- ٢٢ — القلقشندى ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، طبع دار الكتب المصرية .
- ٢٣ — أحمد صفوت ، جهرة رسائل العرب ، طبع الحلبي ١٩٣٧ .
- ٢٤ — ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١٩٠٤ .
- ٢٥ — أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ، طبع الخانجي .
- ٢٦ — رسالة الحسن البصري ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٢١ أدب .
- ٢٧ — ياقوت ، معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث .
- ٢٨ — الدينورى ، الأخبار الطوال ، طبع ليدن .
- ٢٩ — ابن خلكان ، وفيات الأعيان .
- ٣٠ — محمد كرد على ، أمراء البليان ، ١٩٣٧ .
- ٣١ — دائرة المعارف الإسلامية ، مواد «تاريخ» و«سيرة» ومواد أسماء المؤرخين .

٣٢ — عبد الحميد العبادي ، علم التاريخ تأليف هرنشو ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٣٣ — ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، طبع الهند .

٣٤ — وهب بن منبه ، كتاب التيجان ، طبع الهند .

٣٥ — كرنكو ، أقدم كتابين في الأدب الشعبي الإسلامي ، مجلة الثقافة الإسلامية ، ١٩٢٧ .

٣٦ — حاجي خليفة ، كشف الظنون ، طبع أوربا .

٣٧ — الذهبي ، تراجم رجال روى محمد بن إسحاق عنهم ، تحقيق فيشر .

٣٨ — البلاذري ، الأنساب ، تحقيق الورد .

٣٩ — سخاو ، القطعة البرلينية من مغازي موسى بن عقبة .

٤٠ — عبيد بن شريفة ، أخباره ، طبع الهند .

٤١ — ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا بالاشتراك .

٤٢ — سليمان بن طرخان ، السيرة الصحيحة ، تحقيق فون كريمر .

٤٣ — مرجليوث ، محاضرات عن التاريخ العربي .

٤٤ — الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، طبع الخانجي .

انتهى بحمده وتبارك وتعالى

فهرس الأشخاص

الأزرقى ٢٢٥، ١٧
ابن إسحاق (انظر محمداً)
أسد بن موسى ٢٠٣
إسرائيل ولفنسون ١٩، ١٨، ١٠
الإسكندر المقدونى ١٢١
إسماعيل بن إبراهيم ٢٢٥، ٢١٤
اشبیر بر ٣٤
ابن الأشعث (انظر عبد الرحمن بن محمد)
الأشعث بن قيس ١٩٥
الاصطخرى ١٢٦
الأصفهاني أبو الفرج ٢٤، ٢٣، ٢١١، ٢١٥
الأصمعى ٧٣
الأعشى ٢٠٦
أعشى بنى وائل ١٨٥
أكثم بن صيفى ٧٨، ٢٣
ألويس شيرنجر ٢١٤
امرىء القيس ٣٠٦، ١٨٥
أمية بن أبى الصلت ١٨٥، ١٢٦
أنس بن مالك ١٠١
أنيس المقدسى ٣٤
أوليرى ١٧، ١٦
بابليون بن عبد شمس ٢٠٥
بارتلى ٣٥
الباقلانى ٣١
البخارى ٣٢
البخترى ١٨٨
بديل بن ورقاء ٨٩، ٨٨
بربر بن كنعان ١٩٠

آدم ٢٢٤، ٢١٧، ٢٠٧، ٢٠٥، ٢٠٤، ١٨٢
آزر ١٨٨
أبان بن سعيد ٣٠
بان بن عثمان البجلي ١٩٤، ١٩٣
أبان بن عثمان بن عفان ٢٣٤، ٢٣٣، ١٩٣
٢٣٨
أبان العطار ١٩٦
إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) ٢١٧، ١٨٨
إبراهيم بن سعد ٢٢٤
إبرهة بن الصباح ١٧٣
أبروز ١٣٢، ٢٦
أبليس ١٠٩
أبى بن كعب ٤٤، ٣٠، ٢٩
ابن الأثير ٢٢٧، ١٧١، ٥٢، ٤٠، ١٧
أحمد أمين ٣٢، ١٨، ١٦، ١٢، ١١
أحمد صفوت ٥٤، ٤٩، ٤٢، ٣٧—٣٤، ٢٧
٧٩، ٧٨، ٧٦، ٧٥، ٧٠، ٦٤، ٥٩، ٥٨
٩٤، ٩٢، ٩٠، ٨٩، ٨٦، ٨٤، ٨٢، ٨١
٩٩—١١١، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٤، ١٠٢
١٣٣، ١٢٧، ١٢٤، ١٢١، ١١٣
١٥٨، ١٥٧، ١٥٤، ١٥٢، ١٤٩، ١٤٧
١٦٥، ١٦٤، ١٦٢، ١٦١
الأخنف بن قيس ٧٢
الأخنس بن شهاب التغلبى ٢٤، ١٢
إدريس (عليه السلام) ١٨٢
أبو إدريس بن منان (انظر عبد المنعم)
ادوارد سخاو ٢١٤
أرسطو ١٦٥، ١٢٢، ١٢١

البرقي ١٨١، ١٨٢، ١٩٠
البرهان الحلبي ٤٣
بشر بن مروان ٩٦، ٩٠
أبو بكر بن حزم ٩٩
أبو بكر الصديق ٤٨، ٣٠، ٤٩، ٥٢، ٥٤
١٤٨، ١٧٧، ٢٠١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٧٦
البكري ١٠
البكائي ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٢٧
البلاذري ١٩، ٢٣، ١٩٦، ٢١٥، ٢٢١
٢٢٢، ٢٣٠
بلال ٢٠١
بلقيس ١٨٧، ٢٠٧
البيروني ١٧٠، ١٧١
بيكر ٢٠٠، ٢١٩
بيوري ٤
تاريخ ١٨٨
تبع أسعد بن ملكيكر ١٧٣، ١٨٤، ١٩٢
ترقيان ٤
الشعالي ١٦٦
جابر بن سعيد بن العاص ٣٠
الجاحظ ٢٢، ١٤٦
جب ١٧٠
جبير بن حية ٦٧
أبو جيرة بن الضحاك ٥٣، ٦٥، ٦٦
جرير بن يزيد ٢٢٢
جعفر بن برقان ١٠٣
جعفر بن أبي طالب ٢٣٠
جعفر بن محمد ١٩٤
أبنا الجلندي ٣٥، ٤٢

الجهنشياري ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٣٨، ٤٣ — ٤٥
٤٨، ٥٠، ٥٣، ٦٢ — ٦٩، ١٢٦، ١٣٢، ١٦٤
جهنم بن الصلت ٤٥
أبو خاتم السجستاني ١٩١
حاجي خليفة ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣
٢١٠
الحارث بن حلزة ٢٢، ٢٤
الحارث بن أبي شمر الغساني ١٧٩، ١٨٠
أبو حبيبة مولى الزبير بن العوام ٢١٦
الحجاج ٦٤، ٦٨، ٧١، ٧٣ — ٧٥، ١٥٤
ابن حجر ١٩٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٧
ابن أبي الحديد ٥٧
حذيفة بن اليمان ٢٩، ٤٤، ٤٥
حسان بن ثابت ١٨٥
حسن إبراهيم حسن ١٦، ٥٣، ٦٧
الحسن البصري ٩٢، ٩٨، ١٠٠
١٠٤ — ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١١٨
الحسن بن عليل الغزي ٢٢١
الحسن بن علي بن أبي طالب ١١٢، ١١٦
١١٨، ٢٢٢
الحسين بن علي بن أبي طالب ٦٢، ٨٦، ٢٢٢
ابن الحضرمي ١٩٧
الحصين بن نمير ٤٢
حطان بن عوف ٢٤
أبو الحكم (انظر عوانة)
حكيم بن حزام ٨٨، ٨٩
حمير ٢٠٨
حنظلة بن الربيع ٢٣، ٣٠، ٤٥، ٤٨، ٤٩
الحيدرابادي ٣٣ — ٣٩، ٤٢، ٤٩، ٥٢
خالد بن سعيد بن العاص ٤٤

روح بن زنباع ٦٨
 ابن الزبير ٢٢٩
 الزبير بن العوام ٢٩ ، ٤٥ ، ٥٦ - ٥٨ ،
 ١٩٨ ، ٢١٦
 زرعة بن ذى زن ١٩٦
 الزرقاني ٢٩
 أبو الزعيرة ٦٧ ، ٦٨
 الزعسري ٣١
 الزهري محمد بن مسلم بن شهاب ٢٢٧ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨
 زهير بن أبي ساسي ١٥٩
 زياد ابن أبيه ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٦٦
 ٦٧ ، ١٧٨
 زياد بن النضر ١٥٢
 زيد بن ثابت ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤ ،
 ٤٥ ، ٤٨
 زيد بن حارثة ٢٣٠
 سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٠٣ ،
 سالم مولى أبي حذيفة ٣٠
 سالم مولى هشام ١ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ١٢٠ ،
 ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٣٩
 سام ١٨٤
 سترابو ١٦
 السخاوي محمد بن عبد الرحمن ٢١٢
 سرجون الأشوري ١٥
 سرجون بن منصور الرومي ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥

خالد بن عبد الله القسري ٩٣ ، ١٢١ ،
 ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢١١
 خالد بن الوليد ٤٩ ، ٥٠ ، ١٨
 خالد بن يزيد بن معاوية ١٧٧
 خديجة بنت خويلد ١٩٥
 أبو خزيمه بن ثابت ٣٠
 ابن خلدون ١٩ ، ٢٦ ، ١٥٥
 ابن خلكان ١٢٦ ، ١٦٥ ، ١٧١
 خليل يحيى نامي ٢٠ ، ٢٦
 الخوارزمي ١٧٠
 داود (عليه الصلاة والسلام) ١٠٩
 أبو السرداء ٨١ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
 ١٠١ ، ١٠٢
 دغفل النسابة ١٧٨ ، ١٧٩
 دنلوب ٣٥
 الدينوري ٦٤ ، ٧٣ ، ١٧٣
 الذهبي ٢١٢
 الرسول ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ،
 ٢٨ - ٢٩ ، ٥١ - ٥٣ ، ٥٩ - ٦١ ،
 ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠١ ،
 ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٤٧ - ١٤٩ ، ١٧٧ ،
 ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٩٢ - ١٩٥ ،
 ١٩٧ - ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ - ٢١٥ ،
 ٢١٧ - ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ - ٢٢٧ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢٧٠
 رشدين ٦٧

شمر يرعشى ١٨٩
شمس الدين محمد (انظر السخاوى)
شوفان ٢٠٣
شوقى ضيف ١٢٢، ٦٧، ٢٣
صهار العبدى ١٧٧
الصولى ١٣٢، ١٩
الضحاك بن قيس الشيبانى ١٣٣
ضمضم بن عمرو ٢٠
ظاهر بن الحسين ١٥٦، ١٥٥
طاووس ١٠٥
الطبرى ١٢١، ٨٨، ٧٤، ٧٢، ٥٦، ٣١، ٢٠
١٩٦ — ١٩٣، ١٧٢، ١٧١، ١٢٢
٢١٧ — ٢١٥، ٢١٣، ٢١٢، ٢١٠
٢٣٠، ٢٢٨ — ٢٢٤، ٢٢٢ — ٢١٩
طرفة بن العبد ٢٣
طسم بن لاوذ بن إرم ١٨٤، ١٨٢
أبو الطفيل عامر بن واثلة السكنانى ١٨٨
طليحة بن عبيد الله ٥٦، ٢٩ — ٥٨، ٥١٦
طه حسين ١٦٣، ٤٥، ٣١
طيفة النهدي ٤٠
ابن طيفور ١٣٣
عائشة ٥٦ — ٥٨، ٢١٣، ٢٣٥
عابر ١٨٨
عاد ٢٢٦
أبو العاص بن وائل ٢٩
عاصم بن عمر بن قتادة ٢١٠، ٢٢٧، ٢١١
عامر بن جرم الأنصارى ١٨٩
عامر بن فيرة ٤٥، ٢٩

سعاد (فى شهر كعب) ١٩٤
ابن سهد (انظر حمدا)
سعد بن أبي وقاص ٢٩، ٥٢، ١٤٩
سعيد بن العاص ٥٤
سعيد بن المسيب ٢٣٥
أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصارى ٢٢٠
أبوسفيان بن حرب ٣٠، ١٩٦ — ١٩٨
ابن سلام ٢٢٩
سلمان الفارسى ٨١، ٨٢، ٩٧، ٩٨، ١٠١،
١٠٤، ١٠٣
سامة بن الفضل ٢٢٧
سليمان الحكيم ٣٨، ٢٠٧
سليمان بن سعد الحنفى ٦٧
سليمان بن صرد ٧١
سليمان بن طرخان أبو المعتمر ٢١٦ — ٢٢٠
سليمان بن يسار ٢٣٥
سهيل بن حسان ١٢٤
السيوطى ٣٠
الشافعى ٢٣٥
الشبرايملى ٤٣
ذو شد (انظر الهال بن عاد)
شداد بن عاد ٢٠٩
شرحبيل بن حسنة ٤٥، ٣٣
شرحبيل بن سعد ٢١٥
شرحبيل بن السمط الكندى ٥٧
شريح بن هانئ ١٥٢
الشرىف الرضى ٥٧
الشعبى ٨٩، ٢٢٢

عبد الله بن سالم ١٢٤
عبد الله بن سعد بن أبي سرح ٣٠
عبد الله بن طاهر بن الحسين ١٥٥
عبد الله بن عامر بن كرز ٥٣
عبد الله بن عباس ١١٨، ١١٦، ١١٣، ٥٥، ٥٣
٢٢٦، ٢١٥، ١٨٧، ١٨٠، ١٧٨
عبد الله بن عمر بن الخطاب ٨٣، ٨٠
عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٢
عبد الله بن أبي فروة ٦٧
عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري ٥
عبد الله بن مروان بن محمد ١٣٣
عبد الله بن مسعود ٢٢٢، ٣٠
عبد الله بن المعتز ٢٢١
عبد الملك بن مروان ٦٤-٦٨، ٧٠، ٨٨
١٨٦، ٨٩، ١٠١، ١١٢، ١٥٤، ١٨٢
١٩٤-١٩٦، ٢١٦
عبد مناف ٢١
عبد المنعم بن سنان ٢٠٢، ٢٠٣
عبيد بن الأبرص ١٨٥
عبيد بن شربة ١٨١، ١٧٨-١٩٢، ٢٠٤
٢٠٦، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٣٧
أبو عبيدة ٢٣٣
عبيد الله ٢٣٥
عبيد الله بن أوس ٦٨، ٦٦
عبيد الله بن زياد ٦٢، ٧١، ٧٤
عتبة بن أبي سفيان ٨٤
عتبة بن غزوان ١٤٩
عثمان بن عفان ٢٩، ٤٨، ٥٤-٥٨، ٥٦
٦٠، ٦٦، ٧١، ١٥٢، ٢١٠، ٢١٦
٢١٧، ٢٢٠، ٢٣٠

أبو عبيد الله ٢٠٤
العبادي ٤
العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري ٢١١
العباس بن عبد المطلب ١٩٤، ٢١٨، ٢٢٤
العباس بن مرداس ١٨٥
ابن عبد البر ٢٦، ٢٩، ٤٣
عبد الحميد بن يحيى الكاتب ١، ٢، ٦٩
٧٤، ٧٧، ٨٦، ٩٣، ٩٦، ١٢٠، ١٢٦
١٢٨، ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٥
١٤٧، ١٥١، ١٥٣، ١٦١، ١٦٣، ١٦٦
١٦٧، ٢٤٠، ٢٤١
عبد الحلي الكنانى ٢٦، ٣٠، ٣٣، ٣٦
٤٣-٤٦، ٨٦
ابن عبد ربه ٢٦، ٤٤، ٥٣، ٦٤، ١٦٦
عبد الرحمن بن أبي ٥٣
عبد الرحمن بن الأشعث ٦٣، ٧٣، ٢٢٢
عبد الرحمن بن نعيم ١٥٥
عبد شمس ٢٠٥
عبد شمس بن مناف ١٦، ٢١
عبد العزيز بن مروان ٩٠
عبد الله ١٨٩
عبد الله بن أبي بن سلول ٢٣٥
عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ٤٤-٤٦
٤٨، ٥١
عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ٣٦، ٢٢٧
عبد الله بن أبي بكرة ٦٧، ٦٨
عبد الله بن جحش ٣٣، ١٩٦، ١٩٧
عبد الله بن خلف الخزاعي ٥٣
عبد الله بن رواحة ٢٣٠
عبد الله بن الزبير ١٩٥، ٢٢٢

عمر بن هند ٢٣
 عمليق ١٧٦
 ابن العميد ١٦٦٠١
 عنزة ١٨٨
 عوانة بن الحسيم أبو الحسيم ٢٢٣-٢٢١،
 ٢٣٨
 عون بن عبد الله ١٠٥
 عياض التيمالي ٥٨
 عيسى ابن مريم ٢٢٩، ١٩٢، ٤٠
 غيلان بن مسلم الدمشقي ١٠٦، ١٠٠
 فاطمة الزهراء ٢٠١، ١٩٠، ٨٦
 أبو الفرج (انظر الأصفهاني)
 الفردوسي ١٨٨
 فلاشر ٣٥
 فون كريمر ٢١٨-٢١٦
 الفيروز آبادي ١٩
 فيك ٢٢٧، ٢٢٤
 قايل ٢٠٦
 القالي ٢٢٠، ٢٠، ١٦
 قبيصة بن ذؤيب ٦٨، ٦٤
 ابن قتيبة ٢١٠، ١٩٤، ١٣٢، ٦٤، ٢٦، ٢٤
 قتيبة بن مسلم الباهلي ١٨٩
 قرة بن عبد الرحمن ٢١١
 ابن القرية ٢٢٢، ٧٥، ٧٣، ٦٤
 القرطبي ٤٣
 ذو القرنين ٢٠٨
 القلقشندي ٨٨، ٦٥، ٥٢، ٥١، ٤٩-٤٧
 ١٣٣، ١٣٢
 قبصر ٢١

العجلي ٥٠
 عدى بن زيد ٢٦
 عروة بن الزبير ١٩٤، ١٧٧، ٨٨، ٣٦-
 ٢٣٨، ٢٣٥-٢٣٣، ٢١٣، ١٩٩، ١٩٦
 ابن عساكر ٤٣
 عطاء الخراساني ١٠٩
 عقاب بن شبة ٩٦، ٩٣
 ابن أبي العقب ٧٣
 العلاء بن الحضرمي ٣٠
 العلاء بن عتبة ٤٤
 علقمة بن وقاص الليثي ٢٣٥، ٢١٦
 علي بن أبي طالب ٤٦، ٤٥، ٣٣، ٣٠، ٢٩
 ٥٥-٥٠، ١٥٣، ١٥٢، ٧٦، ٦٦، ٦٠
 ٢٣٥، ٢٢٢، ١٨٨، ١٥٥
 عمر بن إبراهيم ١٧٣
 عمر بن الخطاب ٦١، ٥٧، ٥٤-٤٩، ٤٧
 ٩٧، ٩٢، ٨٦، ٨٤، ٨٣، ٨٠، ٦٦، ٦٥
 ١٥٥، ١٥٣، ١٥٢، ١٤٩، ١١٦، ٩٨
 ٢٢٠، ١٩٤، ١٧٧، ١٧٠
 عمر بن عبد العزيز ١٠٧-٩٧، ٩٢، ٦٩
 ١٩٣، ١٧٧، ١٥٥، ١١٩، ١١٨، ١١٦
 عمر بن عبد العزيز الوراق ٩٩
 عمر بن عبد الله بن عتبة ٩٠
 عمر بن هبيرة ١٠٥
 عمرو بن حزم الأنصاري ١٤٧، ٤٠
 عمرو بن سعيد بن العاص ١٢٢
 عمرو بن العاص ١٨٢، ١٨١، ٦٠، ٥٨، ٥٧
 عمرو بن عامر ٢٠٤
 عمرو بن نافع ٧٤

محمد بن عبد الرحمن (انظر السخاوي)
 محمد بن عبد الله بن الحسن ٢٢٢، ٢٢١
 محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزازي ١٨٨
 محمد بن علي (انظر محمد بن الحنفية)
 محمد كرد علي ١٦١
 المختار ٧٢، ٧١
 أبو مخنف ٢٣٨، ٢٠٤
 المرقش الأكبر ٢٦، ٢٤
 مروان بن الحكم ٥٥
 مروان بن محمد ١٣٣، ١٢٧، ١٢٦
 ابن مسعود (انظر عبد الله)
 المسعودي ١٧٦، ١٦٦، ١٢٦، ٧٦
 أبو مسلم الخراساني ١٦١
 مسلمة بن عبد الملك ١٩٣
 مصعب بن الزبير ٦٧، ٦٣
 المطلب بن عبد مناف ٢١، ١٦
 معاذ بن جبل ٩٧، ٧٩
 معاوية بن أبي سفيان ٤٩، ٤٤ - ٤٦
 ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٢، ٦٦ - ٦٨
 ٨٦ - ٨٩، ١٧١، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩
 ١٨١ - ١٨٣، ١٨٥ - ١٩٢، ١٩٤، ٢٢١
 ٢٢٢
 معاوية بن عمار ١٩٤
 معاوية بن مالك ٢٤
 معتمر بن سليمان التيمي ٢١٩
 معقيب بن أبي فاطمة ٤٥، ٢٩
 مغيث بن بشير ٢١٩
 المغيرة بن شعبة ٥٣، ٤٦، ٤٤
 المغيرة بن عبد الرحمن ١٩٣
 المقوقس ٣٥

قينان ٢٠٧
 الكتاني (انظر عبد الحى)
 الكرماني ١٧٣
 كرنكو ٢٠٨، ١٩١، ١٩٠، ١٨١
 كسرى ٢١
 كشتاسب ١٣١
 كعب الأخبار ١٧٥
 كعب بن زهير ١٩٤
 ابن كيسان مولى بني المغيرة ١٩٧
 لاوذ بن رام ١٨٤
 ليبد بن ربيعة ٢٠٦، ٢٤
 لقمان بن عاد ٢٠٩، ١٨٢، ١٠٩، ١٠٦
 لويس شيخو ١٨
 الليث ٢١٢
 مالالي ٢٠٨
 مالك بن أنس ٢١٤
 المبرد ٧٤
 المتلس ٢٣
 المثني بن حارثة ٤٩
 مجنون بن عامر ٧٣
 محمد (انظر الرسول)
 محمد بن إسحاق ١٩٤، ١٩٠، ١٨٨، ٣٦
 ٢٣٤، ٢٣٠ - ٢٢٣، ٢١٣ - ٢١٠، ٢٠٤
 ٢٤١، ٢٣٨، ٢٣٥
 محمد ابن الحنفية ٨٦
 محمد بن خير الوراق ١٠٧
 محمد بن السائب الكلبي ٢٣٨، ٢٣٤، ٢٠٤
 محمد بن سعد ١٨٠، ١٧٧، ١٠٨، ٣٢
 ٢١٤، ٢١٢، ٢١٠، ٢٠٢، ١٩٤، ١٩٣
 ٢٢٤، ٢١٥

هايل ٢٠٦،٢٠٥
 هاشم بن عبد مناف ٢١٠،١٦
 هرقل ٤٠
 الهرمزان الفارسي ١٧٠
 ابن هشام ١٨١،٣٧،٣٣،٢٦،٢٢،٢٠
 ٢٠٤،٢٠٣،١٩٥،١٩٠،١٨٩،١٨٢
 ٢٣٠،١٢٣،٢١٣،٢١٢،٢١٠
 هشام بن عبد الملك ١٢٣،١٢١،٦٨،٦٧
 ٢٣٩،٢٣٥،١٢٥،١٢٤
 هشام بن عروة ١٩٦،١٩٥،٨٨
 هشام بن الوليد الخزومي ٢١٣
 هل ١٠
 الهمال بن عاد ذو شدد ٢١٠ — ٢٠٨
 ابن أبي هنيذة ١٩٤
 هود ١٨٨
 هوذة بن علي ٤٢
 هوروقس ٢١٥،٢٠٢،٢٠٠،١٩٣،٣٦
 ٢٢٨،٢٢٧،٢٢٤،٢٢٣
 الهيثم بن عدي ٢٢١
 وائل بن حجر الحضرمي ٤٠
 واصل بن عطاء ١١٣
 واقد حليف بني عدي ١٩٧
 الواقدي ٢١٦،٢١٥،٢١٠،١٩٤
 ورقة بن نوفل ٢٦
 أبو الوفا نصر الموريني ٤٣
 ولفنسون (انظر إسرائيل)
 الوليد بن عبد الملك ١٩٤،٧١،٦٩
 الوليد بن عقبة ٥٩،٥٨
 الوليد بن المغيرة ٣١

مكحول ١٨٩،٩٢
 ملكي كرب بن أسعد بن تبع ١٩١
 منجاب بن الحارث التميمي ٢٢٩
 المنذر بن ساوي ٣٥
 المنصور ٢٢٤،٢٢٣
 المهدي ٢٢٣
 المهلب ٧٦،٧٥
 مهليل ٢٠٨
 موسى (عليه الصلاة والسلام) ١٩٢،٤١
 أبو موسى الأشعري ٥٤-٥٢
 موسى بن عقبة ٢٣٤،٢١٥،٢١٤
 الميداني ٢٣
 النابغة الذبياني ٢٠٦،١٨٥،١٨٠،١٧٩
 نافع بن الحارث ٥٣
 ابن نباتة المصري ٧٤
 النبي (انظر الرسول)
 النجاشي ٤٠٠،٣٩،٣٥
 ابن النديم ١٦٦،١٢٦،١٢١،١٢٠،١٩
 ٢٣٠،٢٢١،٢٠٢،١٨١،١٨٠
 نصر بن حجاج ٨٤،٨٣
 نصر بن مزاحم ٥٧
 النصر بن الحارث ١٧٤
 أبو نضرة ٢٢٠
 أبو نعيم الأصبهاني ١٠٦-١٠٣،١٠١،٨١
 ٢١٣،٢١٢،٢٠٠،١٠٨
 نعيم بن مسعود الأشجعي ٢١٨،٣٤
 نوح (عليه الصلاة والسلام) ٢٠٧،٢٠٤،١٨٢
 نوفل بن عبد مناف ٢١٠،١٦
 النويري ١٣٢،١٩

يزيد بن معاوية ٢١٣، ٨٧، ٧٠، ٦٣، ٦٢
 يزيد بن المهلب ٧٤، ٦٨، ٦٧
 يعرب ١٨٤
 يعقوب ١٧٠
 يعلى بن منية ٥٥
 يوسف بن عمر ٦٧
 يونس بن بكير ٢٢٧
 يونس بن عبيد ١٠٣
 يونس بن يزيد ٢١٣، ٢١٢

وهب بن منبه ١٠٨-١١٠، ١١٨، ١٧٥،
 ١٨٨-١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٧-٢٠٩،
 ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢-٢٣٤
 ٢٣٧
 ياقوت ١٠، ١١٨، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٢٢،
 ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٠
 يحيى بن آدم ٢٢٢
 يحيى بن يعمر ٦٧، ٦٨، ٧٤، ٧٥
 يزيد بن عبد الملك ١٠٥

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٤	الكتابة	الكتابة	١٥٠	٨		
١٤	١٠	نامة	تامة	١٥٠	١٦	نمخ	نمخ
١٩	٥	لأول	الأول	١٥١	٧	لقوا	لقوا
١٩	٦	اسريعا	سريعا	١٥٤	١٥	وحشة	وحشة
٢٢	٤	يام	أيام	١٥٨	١٠	أخرى	أخرى
٣١	٥	البلاقون	الباقلائي	١٥٨	١٨	يرتعن	يرتعن
٣٤	٤	Sperber	Sperber	١٧٨	١	الباب الثالث الفصل الثاني	الباب الثالث الفصل الثاني
٤٣	١٠	قرر	يقرر	١٨٦	١٧	الصيغة	الصيغة
٤٤	٩	عبة	عتبة	١٩٨	٥	الحجاج	الحجاج
٤٩	٢١	كر	بكر	١٩٨	١٦	فطلقوا	فطلقوا
٥٠	١١	الجهشباري	الجهشباري	١٩٨	١٧	تركوه	تركوه
٧٩	١٦	وليزه	وليزه	٢٠١	٢٠	فأسلوها	فأسلوها
٩٣	١٩	الإطنات	الأطناب	٢١٤	١١	غغازي	غغازي
٩٤	٤	دعائه	دعائه	٢١٤	١٥	sachau chasau	sachau chasau
٩٤	٥	صلاته	صلاته	٢١٩	٧	وسلم	وسلم
٩٨	٧	لعمرة	الثمرة	٢١٩	١٤	طائفان	طائفان
١٠٤	١	سذه	هذه				
١٠٦	٤	صورة	سورة				
١٠٧	٥	رأس	رأس				
١١٩	١	عما	عمر				
١٢١	١	الإسكند	الإسكندر				
١٣٥	٢١	غفتك	غفتك				
١٤١	٩	الطخة	لطخة				